مدن إقليم غرب إفريقيا : دراسة جغرافية تحليلية

الدكتور / سليمان عبد الستار خاطر *

قبل دراسة اقليم غرب افريقيا حضريا ، يجب ان نعرض الى التعرف على ماهية الاقليم (Region) الذى اختلف الجغرافيون على الاسس التى يتم بها تحديده . فالاقليم عرفته المؤلفات والقواميس ومعاجم المصطلحات الجغرافية بانه مصطلح جغرافى وغير جغرافى بمعنى مشترك ثم معانى اخرى متفرقة ، وهو منهج تطبيقى . ويتلخص المعنى العام للاقليم عند الجميع فى انه « رقعة مساحية من سطح الارض لها خصائص معينة تتميز بتجانس ظاهرة جغرافية أو اكثر فى كل هذه المساحة (Homogeneous) ، وتختلف تماما عما يجاورها فى كل الاتجاهات » . ويذكر « ديكنسون Dickinson, R.E» ان الاقليم فى ابسط تعريف له : « منطقة لها بعض مميزات وخصائص ثابتة من وجهة نظر الدارس كل فى فرع علمه ، اما من وجهة نظر الجغرافى فهو منطقة متجانسة من قبل مجموعة خاصة لظاهرات مشتركة سواء اكانت الارض (الطبيعية) او الناس (البشرية) » (١) . ويتفق معه فى هذا التعريف كل من : Peter Haggett-Chorley, R.J., McDonald, J.R, - Harm J, Deblij- David Grigg) وغيرهم ** .

وعلى ذلك ، فاقليم غرب افريقيا وحدة مساحية متميزة من سطح الارض ، ، هى جزء من سطح القارة الافريقية تتميز فى شىء ما عن المناطق المحيطة به ، ويحتوى على انماط مميزة ومتسقة من الظاهرات الطبيعية والبشرية ، وهو يتصف الى حد ما بوحدته الداخلية نتيجة الاتساق او الارتباط بين اجزائه ، فى حين انه يختلف فى مظاهر معينة عما يجاوره من مناطق . ولقد أخذ الباحث بمجموعة الوحدات السياسية الكاملة التى

(*) معهد البحوث والدراسات الافريقية ــ جامعة القاهرة .

(١) Dickinson, R.E. : Region and Regionalism, London, 1966, p. 30

ــ (للمزيد عن الاقليم والاقليمية انظر : قائمة المراجع فى نهاية البحث) .

(**) انظر مؤلفات المؤلفين فى قائمة المراجع .

تدخل فى نطاق هذ التحديد والتعريف لتصبح الرقعة المساحية للاقليم مجال الدراسة .

يوصف « الاقليم » بانه فرد قائم بذاته (Uniqueness) ، ومن ثم يتمتع بالوحدوية والفردية ، ولا يتكرر فى نفس المكان او الجوار ، لكن ربما فى اماكن اخرى بهذا المفهوم فى تحديد اقاليم الدرجة الاولى (٢) — التى يدرسها الجغرافى وغير الجغرافى من فروع المعرفة الاخرى — قسم الجغرافيون العالم الى اقاليم جغرافية عامة كبرى دخلت القارةالافريقية برمتها كوحدة ضمن هذه التقسيمات على اساس اتخاذ القارة وحدة رئيسية للدراسة الاقليمية (٣) ، وقسم كل منهم الى اقاليم جغرافية فرعية (Sub-Region) ، تبعا للشخصية الجغرافية البارزة لكل اقليم ، او بمعنى آخر الصوره او الملامح الجغرافية له التى تبرز عن غيره من الاقاليم الجغرافية الاخرى المجاورة له . وهناك كتب كثيرة صيغت على هذا النحو . بينما يحاول البعض الآخر تقسيم العالم الى اقاليم كبرى متميزة فى خصائصها العامه بصرف النظر عما اذا كانت القارةتضم اكثر من اقليم من هذه الاقاليم ، او أن الاقليم الواحد قد يمتد فى قارتين مثلا وقد يشتمل الاقليم على عدة دول او على اجزاء منها ، وقد تضم دولة واحده الاقليم كله او اكثر من اقليم .

وبناءا على تطبيق مجموعة الاسس والمعايير الطبيعية والبشريةالتى تحدد الاقليم الجغرافى (Geographical Region)، قسمت القارة الافريقية الى عدد من الاقاليم ظهرت فى كثير من البحوث والكتب (٤) . نذكر بعض مؤلفيها على سبيل المثال لا الحصر : (Hance, W.A. — Groove, A.T — Prothero, R,M, (Ed,) —Jarrett, H,R Pollock, N.C. — De Blij and Best).

---

(٢) راجع الفصل (١٢) الخاص بنماذج وتدرج الاقاليم فى :
Chorley, R.J. and Peter Haggett, (Eds),(1970) by Grigg, D. pp. 641-510

(٣) نذكر من بينهم على سبيل المثال لا الحصر :
— Wheeler, J.H., and Others : Regional Geog. of the World, N.Y. (3rd Ed.) 1970,
— Harm, J. De Blij : Geographical Regions and Concept, London, 1975.
Ch. (I) : Regions of the World, p. 1-18.
— Robinson, H. : Human Geog., London, 1969
Ch. (IX) : Regions of the World, pp. 163-192.

(٤) انظر قائمة المراجع .

فقد ورد فى مضمون كتاباتهم أن كلاً من هذه الاقاليم يتصف بصفات جغرافية موحدة متجانسة تبرزه عما حوله ، وتعطيه شخصية جغرافية متميزة عن الاقاليم الاخرى التى تضمها خريطة القارة الافريقية .. وتجعل منه رقعة مساحية فى القارة ذات شخصية جغرافية متميزة ، (Geographical Personality) ومن ثم ، نجمت اقاليم عامة شاملة فى افريقية على النطاق المساحى الواسع (Macro-Regions) وليست على نظام التجزئة الى وحدات صغرى على النطاق المساحى الضيق (Micro-Regions) امكن دراستها كوحدات مساحية جغرافية منفصلة لها خصائصها ومميزاتها الخاصة ، يعد اقليم غرب افريقيا (West African Region) احداها . ولم يكتف بوضع التعاريف ، وانما بدأ كل منهم يدرس كيفية تحديد مساحة الاقليم ووصفه ونوعيته .

ويمكن ان ينتمى الاقليم الى الاقاليم الجغرافية الخاصة ، لانه يتمتع بالتجانس ، ويتميز بمجموعة خاصة من الظاهرات الجغرافية المعينة لا يشاركه فيها اقليم آخر (٥) تجعل منه شخصية فريدة متميزة وسط الاقاليم الاخرى المجاورة له فى القارة ، ولعل الاساس فى اعطاء هذه الخصوصية لشخصية اقليم غرب افريقيا هو مجموعة النطاقات العرضية للظاهرات البيئية والجغرافية ، وليس عامل التضاريس أو غيرها وحدها كما فى بعض الاقاليم الاخرى من القارة . فتأخذ الاقاليم المناخية والنباتية او السمات التضاريسية اتجاها عرضيا فى الاقليم اى محور شرقى ـ غربى ، كما يظهر هذا جليا فى خرائط توزيع عناصر المناخ المختلفة فى الاقليم مثل خطوط الحرارة والمطر المتساوية الفصلية والسنوية (خريطة شكل ٤) .

يتجه البعض الى القول بأن « غرب افريقيا » تسمية اطلقها الاوربيون وقصد بها انه يضم كل الاراضى التى على صلة تجارية بغرب أوروبا عن طريق الموانى جنوبى الصحراء وغرب الكمرون ، ويعد حد الصحراء الجنوبى هو الفاصل الشمالى لهذا الاقليم (٦) . ولا خلاف فى اعتماد جميع الباحثين والكتاب على مجموعة اسس ومعايير طبيعية وبشرية فى استخلاص اقاليمه فى القارة الافريقية ، ولا خلاف ـ ايضا ـ أن ظهر فى خريطة كل منهم لتقسيم القارة الى اقاليم جغرافية ، اقليما اطلق عليه « اقليم غرب افريقيا » اذ قلما نجد فى افريقيا اقليما يسهل تحديده سواء من الناحية الطبيعية او البشرية او السياسية مثل غرب افريقيا .

---

(٥) للمزيد من الاقليم الخاص : (انظر : محمد محمد سطيحه : الجغرافيا الاقليمية ، بيروت ١٩٧٤) ، ص ٣٠ ، ص ٤٧ ـ ٥٠ .

(٦) Udo, R.K. : (1978), p. XII

لقد اتسعت رقعة حدود الاقليم عند البعض أمثال : (Udo, R.K-Hance, W.A,-Prothero, R,M, (Ed),

ليعمق به من ساحل غرب افريقيا الى قلب شمال القارة حتى الحدود الجنوبية للدول المطلة على الساحل الشمالى (البحر المتوسط) للقارة ؛ وبذلك أصبح الاقليم يشتمل على ١٦ دولة . ومنهم من يمتد بالاقليم شرقا ليضم ــ بالاضافة الى ما سبق ــ تشاد ، والكمرون ، وافريقيا الوسطى ليصبح الاقليم ١٩ دولة وهو الاقليم المتسع (شكل ١) . فى حين يقصر البعض الآخر الاقليم على تلك الدول التى تقع فى غرب افريقيا شمال خط الاستواء مطلة على المحيط الاطلنطى وخليجى غانا وغينيا بادئة من جزر الراس الاخضر والسنغال غربا وحتى الحدود الشرقية لنيجيريا شرقا ؛ وبذلك استبعدت الدول الحبيسة (التى ليست لها سواحل) والتى تقع الى الشمال فى قلب القارة الصحراوى ، ووردت فى بعض الكتابات على أنها ضمن الاقليم الصحراوى ، وبذلك أصبح الاقليم يضم ١١ دولة (*) ، ويطلق عليه « اقليم غرب افريقيا الساحلى (شكل ١) ــ لان زيادة عدد الاقاليم فى مؤلف ، لو ادمجت فى بعضها ستعود الى عدد الاقاليم التى وردت فى المؤلفات الاخرى .

ويتفق الباحث مع التحديد السابق ــ الاخير ــ للاقليم ومع كل من « بريتشارد » (Pritchard, J·M) وجاريت (Jarrett, A·R) ، متفادين بذلك خضوع الاجزاء الجنوبية لكل من موريتانيا والنيجر لسمات الاقليم لكونها امتدادا للاقليم الصحراوى . ولعل الاخير « جاريت » توخى الدقة فى التحديد باعتباره الاقليم الممتد حوالى ٣٢٠٠ كم (٢٠٠٠ ميل) فيما بين مدينتى « تمبكتو » و « تاكورادى » فى جنوب غانا (٧) . ومن ثم أصبح مجال البحث والدراسة لاقليم غرب افريقيا يحدد مكانا بالاحدى عشرة دولة التى تجاور حدودها بعضها البعض ، ولها واجهة بحرية تطل بها على المحيط الاطلنطى أو خليج غانا أو غينيا ، وتشترك حدودها الشمالية مع الحدود لموريتانيا واربع من مجموعة الدول الحبيسة فى شمال افريقيا (٨) (خريطة ١) . ويقع الاقليم ــ بهذا التحديد ــ بين خطى طول ١٤ه شرقا الذى يمر بالطرف الشمالى للحدود الشرقية لنيجيريا و ١٧ه غربا الذى يمر بالراس الاخضر . وبذلك يمر خط الصفر (جرينتش) فى منتصف الاقليم (تقريبا) ، والذى يشغل ٣١ه طولية .

(*) راجع اسماء الدول فى جدول (١) .

(٧) Jarrett, A·R, : (1972), p. 283.

(٨) هى : دولة مالى ، النيجر ، تشاد ، بوركينا فاسو (فولتا العليا سابقا) ، التى تغير اسمها فى ١٩٨٤/٨/٣ مع الاحتفاظ بالعاصمة كما هى .

ويحده جنوبا دائرة عرض ٤° شمالا التى تمر بأطراف دلتا نهر النيجر الجنوبية وراس « بالماس » فى ليبريا ، كما يحده شمالا دائرة عرض ١٥° شمالا (تقريبا) التى تمر بالقرب من الحدود الشمالية لنيجيريا وشمال السنغال ، وبذلك يشغل الاقليم ١١° من دوائر العرض . ويبلغ الامتداد العرضى (شرقى ــ غربى) للاقليم ٣٣٨٠كم (٢١٠٠ ميل) من « داكار » الى بحيرة تشاد ، اما الامتداد الراسى (شمالى ــ جنوبى) فيتراوح بين ٩٦٥ و ١١٢٥ كم (٦٠٠ ــ ٧٠٠ ميل) ، وبذلك يمثل الامتداد العرضى للاقليم ثلاثة امثال الامتداد الراسى له (٩) . وتصل جملة مساحة دول الاقليم الى ٢ر٣ مليون كيلو مترا مربعا ، وهذا يعادل ٧ر٧٪ من جملة مساحة القارة الافريقية ، تشغل دولة نيجيريا وحدها ما يقرب من نصف مساحة الاقليم . (جدول ١ ــ عمود ١) .

وتتميز كل دول الاقليم بان لها واجهة بحرية تنفذ بها الى المحيط وتمكنها من سهولة الاتصال والتجارة الدولية مع العالم الخارجى ، الا انها ينطبق عليها ما ينسحب على معظم الدول الافريقية الاخرى بعامة من : كثرة الجيران (Contiguity) الذى يتراوح بين واحد فى زمبيا الى خمس فى السنغال وساحل العاج والى ستة فى غينيا (١٠) (جدول (١) ــ عمود ٥) . ومن : عدم تلاؤم الشكل المساحى للدولة ، اى شكلها المساحى على الخريطة غير مناسب ، (Awkward shape) ومنها ــ على سبيل المثال ــ غينيا وغمبيا وبنين وتوجو (١١) ، هذا وجميع دول الاقليم عضو فى منظمة الامم المتحدة (U.N.O.) وفى منظمة الوحدة الافريقية (١٢) (O.A.U.) .

وفيما يلى محاولة لبيان طبيعة واهمية المدن فى هذا القطاع الغربى من القارة الافريقية من خلال الدراسات التالية : وسوف لا نتحدث عما بداخل الدول بالتفصيل ، وانما عن السمات العامة للحضر فى اقليم غرب افريقيا ، الا ما كان منها لضرب الامثلة او عرض للنماذج او المقارنات .

---

(٩) Hance, W.A. : (1975), p. 173

(١٠) Clarke, J.I., (Ed) : (1975), Fig. 6-6, p 201

(١١) Op. Cit, Fig. 6/8, p. 203

(١٢) Hance, W.A., (1975), Fig. 31 & 32, p, 85

(United Nations Organization — Organization of African Unity).

(١) « خلفيـــة تاريخيـــة »

لقد استمرت حيـاة المدن فترة طويلة من الزمن فى غرب افريقيـا عنها فى اى منطقة اخرى من القارة الافريقية باستثناء مدن شمال افريقيا ووادى النيل ، اذ شغلت بعض المدن مواضـعها لأكثر من ١٥ قرنا من الزمان (١٣) ، ولذا كان لابد من الرجوع الى البعـد التـاريخى للحضر فى اقليم غرب افريقيا . ويمكن فى هذا الشأن ـ وضع ثلاثة خطوط كفواصل تاريخية تفصل بين فترات زمنية (من القرون) تظهر فيها صورة الحضر فى الاقليم ـ تعبر كل منها عن صورة مدنية واضحة لها ظاهراتها الخاصة تجعل منها فترة مدنية متميزة فى اقليم غرب افريقيا وهى :

(١) ـ ما قبل القرن ١٦م ، وهى فترة الممالك القديمةوحواضرها. (٢) ـ من القرن ١٦ حتى ١٨م ، وهى فترة الاسـتعمار وانشـاء المـدن والموانى التجارية . (٣) ما بعد القرن ١٨م وحتى الوقت الحاضر ، وهى فترة الاسـتقرار لدول الاقليم بعـد الاسـتقلال مرورا بتغير الخريطـة السياسية لدول الاقليم وانشاء واستقرار عواصم هذه الدول .

اما عن الفترة الاولى : فتخرج الرقعة المساحية لاقليم غربافريقيا من مواقع الحضارات والمدن القديمة فى القارة وهى حوضالنيلوزمبابوى ومن ثم لم تنشأ المدن فىالاقليم الا فى القرون الميلادية الاولى التىصاحبت نهضة الممالك القديمة التى قامت هناك . ففيما بين القرن/٥ والقرن١٦م نمت وازدادت عديد من الممالك الاسلامية فى الاقاليم السودانية بغـرب افريقيا ، وكانت كبيرة الى حد ما ، حيث ضمت احيـانا اكثر من مليون نسمة ، كما كانت ذات حضارات وثقـافة اسلاميـة وزنجيـة ، تمثـل عواصـمها اهم المدن القديمـة تاريخيـا فى الاقليم ، فقـد كان النظـام السـودانى الغربى من افريقيا مهدا لعدة ممالك وطنية قامت علىالتجارة بين غرب افريقيا بذهبه الشهير خاصة وشمالافريقيا ببلحهوملحه (١٤).

وقد نشأت بعض هذه الممالك قبل الاسلام ، ولكنها نمت خاصـة منذ القرن ١٠م ، ودخلها العرب والاسلام منذ القرن ١١م ، حيثحدثت موجة اسلامية فى غرب الصحراء . وبعد اختراق الاسـلام عبر الصحراء الكبرى (القرن / ٩م) الى غرب افريقيـا نتيجة لتقـدم التجـارة عبر

---

(١٣) Clarke, J.I, in Prothero, R.M., (Ed), (1973), p, 40

(١٤) جمال حمـدان ، ١٩٥٩ ، ص ١٢٥ .

الصحراء التى ازدهرت فيها طرق قوافل التجارة منذ القرن/١٠م وحتى القرن /١٦م ، ويرجع هذا نتيجة لاهتمامهم او اقتنائهم للجمل منذ حوالى القرن /٤ (١٥) . وكانت قوافل التجارة تمر أو تنتهى آنذاك بالمدن القديمة فى غرب افريقيا ، مثل : « جاو » (Goa) ، « تمبوكتو » (Timbuktu) ، « جنى » (Jenne) التى كانت تقع كلها على نهر النيجر ، قادمة عبر الصحراء جنوبا الى الساحل الغربى لافريقيا ، وغربا الى مدينة « أوليل » (Awlil) التى تقع على نهر السنغال(١٦). وكانت تنقل الذهب والملح والصمغ والكولا من مصادرها الاولى فى افريقيا الى الساحل الشمالى للقارة ومنه الى اوروبا . لكن معظم مدن القوافل هذه اما تدهورت أو اختفت ـ وليس لها تاريخ باهر ـ بعد زوال تجارة القوافل عبر الصحراء مثلما كانت فى عصرها (١٧) .

لقد تعاقبت الممالك الاسلامية التى تركزت حول عواصم ومدن هامة لعب العرب فيها دورا كبيرا . وكانت كل مملكة تقوم على اساس خط من خطوط القوافل الرئيسية كما كانت مدنها وعواصمها تتحدد بتقاطع المحور العرضى للسافانا مع المحور الطولى لطريق القوافل ، فكانت سلسلة مدن السافانا أو هوامش الصحراء (١٨) .

وفيما يلى اشارة مختصرة عن بعض هذه الممالك والمراكز الحضرية الكبرى الهامة فى الماضى ـ على سبيل المثال لا الحصر ـ التى ازدهرت فى غرب افريقيا منذ القرون الاولى وحتى القرن/١٦م (١٩) . (شكل (٢) و (٣)) ففى الممالك القديمة فى النطاق السودانى فى غرب افريقيا نمت المدن كمراكز للتجارة والادارة والدفاع (٢٠) . وهى :

مملكة غانا : وهى من اقدم واكبر اولى الممالك التى ظهرت فى غرب افريقيا . ويرجع تاريخها الى القرن /٤ او /٥م ، ولكن اول كتابة عنها كانت فى مؤلف عربى يرجع الى القرن ٨م وبلغت مجدها فى القرن /١١م.

---

(١٥) Fage, J·D, (1978), Map. 7,

(١٦) Op. Cit., Map 11·

(١٧) Op. Cit., Map 33·

(١٨) جمال حمدان ، ١٩٥٩ ، ص ١٢٥ .

(١٩) للمزيد عن الممالك والمدن القديمة فى غرب افريقيا ، انظر :

— Fage, J.D, (1978), & — Pritchard, J.M·, (1979), pp 44-56,
— Davies, H·R., in Clarke, J.I, (Ed), (1975), pp, 152-182,

(٢٠) Pritchard, J·M. (1979), p. 49

وكانت تقع الى الشمال من نهر السنغال ، وامتدت أراضيها وتركزت نواتها بين أعالى نهر السنغال وثنية النيجر . وكانت عاصمتها « غانة » الى الشمال الغربى من ثنية النهر ، وتكاثرت بها الجالية العربية حتى بلغت ½ سكان المدينة ، وكانت تشغل أحياءاً جميلة فيها (٢١) . ولقد ظلت « غانة » العاصمة حتى سنة ١٢٢٤م حتى هجرها سكانها الى عاصمة جديدة هى « والتا » التى تقع شمالها بنحو ١٥٠ كم . ويذكر « ابن بطوطه » مدن « ادوغست » (Audaghost) (٢٢) و « كومبى صالح » (Kumbi Saleh) من عواصم مملكة غانة . والاولى : زالت منذ زمن طويل ، وكانت تقع على الطرف الجنوبى لطرق القوافل التى تعبر الصحراء ، وعندما اكتشفها العرب كانت مدينة كبيرة جدا بمبانيها واسواقها ومحاطة ببساتين من أشجار النخيل (٢٣) . أما الثانية : فهى العاصمة الاخيرة للمملكة والتى غزاها المرابطون فى سنة ١٠٧٦م ، واكتسبت عظمتها وشهرتها من اعتمادها على تجارة عبر الصحراء وقربها من مناجم الذهب فى « وانجارا » (Wangara) (شكل ٢) . وكانت مركزا تجاريا لتوزيع السلع كالملح والنحاس من الشمال والذهب من منابع السنغال ، كما عثر بها على آثار لزجاج وفخار وادوات فى الموقع تشير الى طبيعة التجارة . هذا وكانت تجبى الضرائب على كل السلع التى كانت تخرج او تدخل اسوار المدينة (٢٤) .

مملكة مالى : كانت تقع على احد روافد النيجر الى الشمال من ساحل العاج وتقع عاصمتها « نيانى » (Niani) على الضفة اليسرى لنهر النيجر . بلغت ذروة قوتها فى منتصف القرن ١٣ م ، وتوسعت لتضم مدنا مثل « تكرور » فى الغرب و «جاو» و « تمبوكتو » و «جنى» حيث اصبحت الاخيرتان مراكز كبرى للعلماء المسلمين والثقافةالاسلامية وقد كتب عنها « ابن بطوطة » (١٣٥٢ ـ ١٣٥٣) . وهنا تجدر الاشارة الى مدينة « تمبوكتو » (Timbuktu) الشهيرة : تأسست مدينة « تمبوكتو » فى سنة ١١٠٠م وصارت مركزا اساسيا لتجارة القوافل بين المغرب والسودان الغربى وذلك لموقعها البارز حتى صارت ايضا قاعدة للاسلام فى النطاق السودانى . ولم تكن « تمبوكتو » مركزا لمقاطعة او مملكة هامة لكنها كانت معرضة دائما للهجوم من مغيرى الصحراء . وبحلول القرن /١٢ اصبحت مركزا تجاريا هاما ، ومكثت مدة اطول بكثير من المدن الاخرى التى عاصرتها فى غرب افريقيا . واشتهرت المدينة بمبانيها من القصور والمستودعات والمخازن التجارية التى تأتى اليها

---

(٢١) ، (٢٢) Op. Cit.

(٢٣) Op. Cit.

(٢٤) Op. Cit.

السلع من البحر المتوسط شمالا عبر الصحراء ومن نطاق الغابات الى الجنوب . ومع حلول القرن /١٥م اصبحت معروفة ومشهورة كمركز للتعليم والبحث . اما فى الوقت الحاضر فتمثل المدينة ـ التى كانت فى فترة ما احد معالم امبراطورية مالى القديمة ـ جزءاً من جمهورية مالى الحديثة .

مملكة سونجهاى : (Songhai) ظهرت مملكة سونجهاى التى نشأت على ضفاف نهر النيجر وكانت ذات حضارة زراعية ، وتركزت عاصمتها فى « جاو » (Gao) التى كان يطلق عليها من قبل « كوكيا » (Kukya) فى القرن ١١ م . كانت من الممالك الكبرى فى غرب النطاق السودانى ، وفى مطلع القرن ١٦ م مدت سيطرتها فوق مناطق مملكةغانا والى اجزاء من مقاطعات الهوسا (Hausa) التى تشغل فىالوقتالحاضر شمالى نيجيريا ، فقد بلغ حدها الغربى فى سنة ١٥٢٠م المحيطالاطلنطى، وامتدت شرقا لتضم الحوض الاعلى لنهر السنغال وكل حوض نهر النيجر حتى الحدود النيجيرية ومدينة « كانو » ، كما انبسطتسيطرتها فى غرب الصحراء حتى وصلت شمالا الى مناجم الملح فى « تاجهازا » (Taghaza) (.) شكل ٣) . كما سيطرت على كثير من النهايات الجنوبية للطرق التجارية عبر الصحراء ، بالاضافة الى مصادر اهم سلعتين فى تجارة الصحراء وهما الذهب والملح . ولقد ازدهرت المملكة لحوالى ٢٠٠ عاما حيث سقطت فى سنة ١٥٩٠م بعد غزو المرابطين لها وزحفهم الى مدن « تمبكتو » و « جاو » فى نهاية القرن ١٦م .

مملكة بورنو : (Bornu) وهى ـ و «سوكوتو» (Sokoto) ـ من مقاطعات اراضى الحشائش فى غرب افريقيا ، وعاصمتها « كانو » (Kano) مركز تجارى آخر كبير عند نهاية الطرق التجارية عبر الصحراء . وقد وصفها جيدا « هنريك بارث » (Heinrich Barth) المستكشف الالمانى كما كانت عليه فى منتصف القرن/١٩م ، اى قبل قدوم المستعمرين ، حيث قدر سكانها بحوالى ٣٠٠ر٠٠٠ نسمة سنة ١٨٥٥ م ، واشار الى انها محاطة بسور يلجأ اليه السكان من الخارج فى اوقات الاضطراب ، وانهم يتزايدون الى الضعف (٦٠٠ر٠٠٠ نسمة) فى الفترة فيما بين يناير وابريل . وكانت الجمال تحمل القطن والاقمشة ومواد صباغتها من « كانو » الى « تمبكتو » و « جات » (Ghat) و « غدامى » (Ghadames) و « توات » (Tuat) من مدن الصحراء فى الشمال (٢٥) . كما كانت تصدر « كانو » الجلود الخام والاحذية

---

(٢٥) Pritchard, J·M. (1979), p. 50,

ـ (قدرت هذه التجارة بحمولة ٢٠٠ جمل سنويا ٠٠٠٠) .

وغيرها مما يصنع بها عبر الصحراء الى مدن شمال افريقيا وخاصة « طرابلس » . من جانب آخر ، كانت تستورد من الجنوب الكولا بكميات كبيرة والنطرون والملح كسلع هامة توفر فرص العمل لكثير من سكان المدينة (٢٦) .

بذلك اندثرت آخر ممالك العصور الوسطى الكبرى فى نطاق السافانا فى غرب افريقيا لتحل محلها عددا من الولايات الصغرى من بينها : (شكل (٢)) .

مملكة موسى (Mossi) : التى ظهرت قبل القرن /١٤م وامتدت رقعتها المساحية من ثنية نهر النيجر الى الاقاليم الشمالية من ساحل الذهب ، وقد هاجم سكانها مدينة « تمبوكتو » معقل الثقافةالاسلامية. وكانت عاصمتها « أواجادوجو » فى فولتا العليا (*) لعدة قرون .

مملكة جنى (Jenne) : وكانت تسيطر على المدن الواقعة بين « لاتا » فى الشمال و « تمبوكتو » فى الشرق . وكانت مدنها مركزا لتجمع التجار ، وعاصمتها « جنى » احدى المدن التجارية على نهر النيجر ، وسقطت على يد مملكة مالى سنة ١٢٣٥م .

وهناك ولاية كانورى او كانم فى بورنو التى اتخذت عاصمتها الاسلامية فى القرن ١١م فى « نجيمى » كما كانت هناك ولايات الهوسا و بامبارى (Bambari) وايضا ولايات «اليوروبا» . ولقد اصبحت هذه الولايات واضحة قبل سقوط مملكة سونجاى الكبرى ، وكثير منها اصبحت فيما بعد تحت حكم وادارة الفولانى (Fulani) (شكل (٢)) .

ممالك ومدن نطاق الغابات : اعقب القرن ١٠م نمو مراكز حضرية لحكومات قوية فى قلب النطاق الجنوبى الغابى الكثيف فى غرب افريقيا ، بعيدا عن الممالك الاسلامية السابقة فى نطاق السافانا الشمالىمن الاقليم، فقد خشيت القوى الاسلامية من اختراق بيئة غير مناسبة لعدم تطور الوسائل المستخدمة فى الحرب ليتلاءم استعمالها فى السافانا المكشوفة ، فالبيئة الغابية او شبه الغابية لاتساعد على تحرك الفرسان ، كما ان هناك صعوبة فى الحصول على غذاء للأحصنة والتى سرعان ما تسقط صرعى مرض النوم والهزال من جراء ذباب «تسى تسى» (Tse-Tse) •

---

(٢٦) تدرت هذه التجارة بحمولة ٥٠٠ حمار سنويا — عن — (المرجع السابق) .

(*) هى : بركينا فاسو ، فى الوقت الحاضر .

ويعد هذا عاملا اساسيا وهاما فى تحديد امتداد وتوسع امبراطوريات وممالك النطاق السودانى الى اقليم السافانا والغابات الجنوبية فى اقليم غرب افريقيا (٢٧) . وهناك مثل مشابه فى شرق افريقيا فى عدم توغل الاسلام غربا الى منطقة البحيرات الاستوائية وغابات حوض الكنغو(٢٨).

من ثم ، تاسست فى النطاق الغابى من جنوب الاقليم عدد من الممالك على نظم حضرية ، ونمت فيها مدن كبيرة تتمتع بعامل الحماية اكتسبته من موقعها نذكر منها — على سبيل المثال لا الحصر :

(١) مملكة اويو (Oyo) : التى ازدهرت منذ القرن/١٠ ومابعده، ووصلت الى اوج قوتها فى القرن ١٧م واوائل القرن ١٨م ، وكانت حاضرتها « افى » (Ife) (شكل (٣)) .

(٢) مملكة اشانتى (Ashanti) وهى مملكة كبيرة مستقلة ، نمت فى اواخر القرن ١٨م واوائل القرن /١٩م ، وعاصمتها « كوماسى » ((Kumasi)

(٣) مملكة الفولانى (Fulani) التى نهضت فى سنة ١٨٣٠م . وكانت اهم مدنها وعاصمتها مدينة « نوك (Nok) . وقد بسطت نفوذها على مقاطعات الهوسا فى الشمال اوائل القرن١٩م(١٨٠٥ — ١٨٠٧م).

(٤) مملكة بنين (Benin) والتى وصلت الى ذروتها فى القرنين ١٦ ، ١٧ م ، وكانت حاضرتها « مدينة بنين » احدى مدن الغابات الكبيرة فى الجنوب . وطبقا لوصفها كانت اكبر مدينة فى الاقاليم الجنوبية لنيجيريا فى اواخر القرن ١٧م ، كما كانت فى موقع مركزى من ادارة المملكة وتلاصق فروع نهر النيجر لضبط التجارة مع التجار الاوروبيين عبر مخرجها عند « جوتن » (Gotton) حيث يتم تبادل السلع(شكل٣).

وتتلخص صورة الحضر فى هذه الفترة فى اثنين :

اولهما : شهدت المدن اضمحلالا فى القرن /٥م فى كل مكان من غرب افريقيا ، لكن شهد القرن ٧م نهضة جديدة لها مثل « جاو » فى مالى ،

---

(٢٧) Pritchard, J.M. (1979), p. 48

(٢٨) سليمان عبد الستار خاطر : « افريقيا الاسلامية » ، مجلة الدراسات الافريقية ، ٥ — ١٩٧٦ ، ص ٢٢١ — ٢٥٧ .

عاصمة مملكة سونجهاى . كما ظهر عدد من المدن فى القرنين /١٠ ، ١١م من بينها كانو ـ زاريا ـ كاتسينا فى شمال نيجيريا ، وعدد من مدن اليوروبا (Yoruba Towns) فى جنوب غرب نيجيريا من بينها : اى ـ ايوو (Iwo) ـ اليشا (Ilesha) ـ ايدى (Ede) الورين (Ilorin) ـ بنين (العاصمة القديمة للمملكة) ـ وتمبوكتو (١١٠٠م) التى يعود تاريخها الى هذه الفترة (٢٩) .

وثانيهما : ان هذا بعض من النمو الحضرى الكبير لافريقيا القديمة، التى ازدهرت فترة طويلة فى الماضى (منذ القرون الاولى وحتى القرن ١٦م) فى الرقعة المساحية لاقليم غرب افريقيا . وهناك امثلة اخرى كثيرة فى شمال افريقيا وعلى طول الساحل الشرقى لها ، هذا بالاضافة الى الحضارات والمدن القديمة فى وادى النيل وزمبابوى فى جنوب القارة .

اما عن الفترة الثانية : فقد كان البرتغال « رواد المدنية » الاولى على الساحل الغربى لافريقيا اساسا فى هذه الفترة التى يطلق عليها ـ تاريخيا ـ عصر النهضة فمن بين المواقع البرتغالية القديمة مدينة « المينا » (Almina) التى ترجع الى سنة ١٤٨٢ م (شكل ٢) (٣٠) . والواقع ان هذه الفترة شهدت انعكاس التوزيع المدنى بين الساحل الشرقى والغربى لافريقيا ، فالساحل الشرقى قد تدهورت موانيه بعنف، بينما الساحل الغربى الذى ظل صحراء « مدنيا » طوال التاريخ قد اصبح هو المزرعة الجديدة للمدن الاستعمارية ، فقد تأخر ظهور مدن ساحل غانة الجديدة ، ولكن لابد ان نذكر كيف ان مغامرى القرن /١٩م من الاوربيين انتابتهم الدهشة حين رأوا المدن الوطنية وعواصم الممالك المدارية ، فلقد كانت هناك على خط اتصال الغابة بالسافانا عشرات من المدن التى تزيد عن ٢٠ الفا ، وكانت « ايبدان » (Ibadan) اكبر المدن الوطنية فى افريقيا المدارية . فهذه المنطقة لم تكن المدنية جديدة عليها ، والارجح ان هذا كان امتدادا لتأثير نفوذ العرب ، وظل العرب فى نطاق السودان الغربى (٣١) . اما بقية منشآت البرتغال على السواحل الغربية فتأخرت الى الفترة الحديثة (ما بعد ١٨٠٠م) . وعلى العموم فمن الواضح ان ظهور المدن الاستعمارية الجديدة فى افريقيا جنوب الصحراء اقتصر بصرامة على السواحل ولم يقامر فى الداخل الا فى الفترة الحديثة، بل فى مراحلها المتأخرة . لقد دامت فى الاقليم مدن كثيرة ، كما نشأت

---

(٢٩) Hance, W.A, : (1970), pp. 211-212.

(٣٠) Pritchard, J.M, (1979) : Map 2/3, p. 51

(٣١) جمال حمدان ، ١٩٥٩ ، ص ١٤٨ .

اخرى خلال تلك الفترة من بينها « اواجادوجو » فى فولتا العليا (بركينا فاسو / حاليا) التى كانت عاصمة مملكة « موسى » (Mossi) لمدة قرون ، و « زندر » فى شمال نيجيريا ـ اما على طول النطاق الجنوبى لغرب افريقيا ، فكانت هناك « اكرا » و « كوماسى » فى غانا (١٦٦٣م) التى كانت مقر حكم الاشانتى القديم ، « بورتونوفو » فى داهومى (بنين الآن) (١٦٢٥ م) و « لاجوس » فى نيجيريا (١٥٧٥ م) ، و «كوناكرى» فى غينيا ، وايضا « سانت لويس » فى السنغال (١٦٥٩ م) ـ هذا بالاضافة الى مدن « جاو » و « تمبوكتو » فى الداخل على نهر النيجر و « كانو » فى اراضى الهوسا والى بعض المواقع الهامة التى تنتشر على ساحل اقليم غرب افريقيا والتى أوجدها الاوربيون فى القرنين ١٧ ، ١٨ م (٣٢) .

اما عن الفترة الثالثة : لعل فى البحث عن المواقع الاولى الحضرية على الساحل الغربى لافريقيا كنقط البداية التى استقر فيها الاوربيون منذ القرن ١٨ م ، وانطلقوا منها الى داخل القارة ، وايضا تتبع اول تخطيط لمناطق النفوذ والحدود فى افريقيا بعامة وغرب افريقيا على وجه الخصوص فى مؤتمر برلين الذى عقد (١٨٨٤ ـ ١٨٨٥ م) ودعت لها المانيا جميع الدول الاوربية المهتمة بافريقيا للاتفاق على تقسيم القارة فيما بينها ، وكان غرب افريقيا موزعا بين النفوذ البريطانى والفرنسى والالمانى والبرتغالى ، سعت كل منها الى انشاء مراكز حضرية فى منطقة نفوذها. ان تغير الخريطة السياسية لغرب افريقيا خلال هذه الفترة وحتى الآن بين الدول الاوربية المتصارعة على مناطق استعمارها هى بداية انطلاق لرؤية فى انشاء العواصم والمدن والموانى التجارية فى سواحل دول النفوذ والتى ارتبطت مع نقط الاتصال الحضرية فى الداخل عن طريق انشاء الطرق والسكك الحديدية فى هذا الاقليم (شكل ٥) .

ولنضرب امثلة على هذا العمل الحضرى من جانب الدول المستعمرة، فقد بدأ الاستعمار الفرنسى لغرب افريقيا سنة ١٦٢٧ م عندما اسس قاعدة له على مصب نهر السنغال واسس مدينة « سانت لويس » ، وانطلق منها شرقا الى داخل القارة مع الطرق والسكك الحديدية . وفى سنة ١٨٨٦ م اعلنت بريطانيا ان منطقة « لاجوس » مستعمرة بريطانية ومنها توسعت شمالا الى الداخل ، وفى سيراليون كانت اقدم المستعمرات البريطانية . وفى سنة ١٧٨٧ م اصبحت المنطقة منطقة نفوذ بريطانية لتوطين الرقيق ، وانشأت مدينة « فريتون » .

---

(٣٢) هناك قائمة بتواريخ نشأة المدن ومواقعها فى غرب افريقيا من القرن ١٥ الى القرن ١٧ م ، فى :

Fage, J.D., (1978) : Map 33 & 34.

(٢) « درجة التحضر » (Degree of Urbanization)

تكاد تسجل القارة الافريقية اعلى معدل لزيادة سكان المدن فى العالم ، اذ بلغ ٤ر٥٪ سنويا ليعادل ضعف المعدل العالمى (٢ر٣٪) ، كما يرجع اختلاف هذا المعدل من دولة الى اخرى سواء فى افريقيا بعامة او فى اقليم غرب افريقيا على وجه الخصوص لاسباب عديدة (٣٣) . وقد نجم عن ارتفاع معدلات الزيادة الطبيعية للسكان والتى لا تقل عن ٣٪ فى معظم اقطار الاقليم (٣ر٠٦٪ معدل الاقليم ككل) مقارنة بـ ٩ر٢٪ للقارة كلها (٣٤) (جدول (١) عمود ٧) ، فضلا عن الهجرة الوافدة المتزايدة من الريف الى المدن (Rurban Migration) وخاصة فى السنوات التى اعقبت الاستقلال مباشرة ، اذ بلغ ارتفاع معدل نمو سكان المدن فى اقليم غرب افريقيا فى الوقت الحاضر (تقديرات ١٩٨٠) الى ٥ر٥٪ سنويا (جدول (١) عمود ٨) (٣٥) .

وتعد « درجة التحضر » ـ أو النسبة المئوية لسكان الحضر من جملة السكان فى الوقت الحاضر ـ أحد المعايير التى يقاس بها تقدم الدول وارتقاؤها فى السلم الحضارى ، ولذا كانت درجة التحضر المنخفضة سمة من سمات الدول النامية والعالم الثالث (٣٦) . وينطبق هذا على القارة الافريقية وكثير من دولها على وجه الخصوص . وبالرغم من ان هناك اختلافا كبيرا فى درجة التحضر بين دول الاقليم ، اى زيادتها فى دولة وقلتها فى اخرى ، الا انها بلغت ٦ر١٨٪ فى المتوسط فى اقليم غرب افريقيا (جدول / ٢) ، فى حين وصلت النسبة فى بعض اقطاره ـ كالسنغال على سبيل المثال ـ الى اكثر من ٣٠٪ ، وبلغت ادناها ١ر٥٪ فى غينيا بيساو (شكل ٦) .

ان غرب افريقيا اكثر تحضرا من شرقها ، لكنه اقل تحضرا من الاقاليم الاخرى فى القارة . فقد بلغت درجة التحضر ـ طبقا لتقديرات الامم المتحدة سنة ١٩٧٥ ـ ٥ر١٨٪ فى غرب افريقيا مقابل ٢ر١٣٪ فى شرقها و ٥ر٣٩٪ فى شمال القارة (٣٧) . لقد ارتفعت النسبة المئوية لسكان الحضر فى اقليم غرب افريقيا اكثر من ٥٠٪ خلال ١٥ سنة (من

---

(٣٣) Ominade, S.H & Ojiogu, C.N. (1972), p, 98,

(٣٤) U.N.- Selected World .... Indicators, 1980.

(٣٥) انظر مصادر الجدول (١) .

(٣٦) Clarke, J.I, : (1971), p. 5

(٣٧) U.N.; Selected World .... by countries, 1975.

٩٥ ـ ١٩٨٠) ، فقد كانت النسبة ٩ر١١٪ فى سنة ١٩٦٥ ، لكنها بلغت ٤ر١٤٪ ، ٦ر١٦٪ ، ٦ر١٨٪ فى السنوات ١٩٧٠ ، ١٩٧٥ ، ١٩٨٠ م على التوالى . ولم يكن معدل الزيادة متساويا فى دول الاقليم ، اذ لم تزد النسبة كثيرا فى غامبيا وغينيا بيساو خلال هذه الفترة فى حين لم ترتفع الا بمعدل ٢٥٪ (تقريبا) فى السنغال ، ولكنها ارتفعت الى الضعف فى توجو وسيراليون فى سنة ١٩٨٠ عنها فى سنة ١٩٦٥ م ، فى حين احتفظت باقى دول الاقليم بنفس معدل الزيادة (٥٠٪ تقريبا) فى الاقليم ككل . (جدول ٢) .

ومن ثم ، يمكن القول انه نتيجة مجموعة عوامل ديموغرافية فى الاقليم كارتفاع معدلات الزيادة الطبيعية للسكان فى الاقليم (٣ر٠٦٪ سنويا) ، والهجرة المتزايدة من الريف الى المدن (انظر ادناه) ، ونسبة المدنية الحالية (٦ر١٨٪) وارتفاع معدل نمو سكانى المدن (٥ر٥٪ سنويا) ومع استمرار هذا المعدل ، (جدول (١) عمود ٧ ، ٨) لن يمضى وقت طويل حتى يصبح نصف سكان اقليم غرب افريقيا (تقريبا) من قاطنى المدن فى نهاية القرن الحالى .

(٣) « بين النظرية والتطبيق »

ا) التدرج الهرمى لاحجام المدن ب) تصنيف وظيفى ج) الهجرة من الريف الى المدن .

(ا) التدرج الهرمى لاحجام المدن : (Rank-Size Hierarchy)

كشفت دراسة الترتيب الهرمى لاحجام المدن فى اقليم غرب افريقيا (جدول ٣ ، ٤) عن عدد من الظاهرات المدنية الهامة من بينها : حقيقة المدينة الاولى (The primate city) ونوعية احجام المدن .

فالمدينة الاولى خاصية مميزة للدول النامية والصغيرة منها والتى استقلت حديثا على وجه الخصوص ، كما انها تكبر المدينة الثانية كثيرا فى الحجم وتفتقر الى سبرر لكبر حجمها ، وهى لا تمثل شذوذا كبيرا فى اقطار اقليم غرب افريقيا فقط ، لكنها واضحة بارزة وسمة مميزة لكل اقطار القارة الافريقية (٣٨) . ودراستها تعكس نتائج الجهود الكبيرة

(٣٨) انظر : U.N., Demographic year-book, 1980 & 1984 (Tables 5, 6 and 8).

لايجاد مراكز الاسواق التى توفر أقل فى التكاليف وجهد فى الانتقال ، كما تتمتع بمزايا مستوى اقتصاديات المدن (٣٩) . والاصل فى العاصمة غالبا انها المدينة الاولى فى دولتها .

وهناك محاولات للربط بين حجم المدن ومرتبتها عن طريق قاعدة الترتيب والحجم (Rank-Size Rule) الذى توصل اليها وطبقها كل من : « مارك جفرسون » و « بيرى (Jefferson, M. & Berry, B·J·L) وايضا « زيف » (Zipf, G·K·) فى وضع نظام ترتيبى للمدن طبقا لاحجامها بنسبة مئوية اساسه المدينة الاولى (٤٠) لكن كثيرا من عواصم افريقيا تبتعد كثيرا او قليلا عن هذا النمط المثالى الذى وضعته هذه القواعد والقوانين . وهناك عدم تطابق للنسب المقترحة للمدينة الاولى فى دول اقليم غرب افريقيا ، ويتضح هذا من دراسة احجام العواصم والمدن الكبرى (*) فيه باعتبار دورها فى دولتها من حيث الحجم بالنسبة لسكان الدولة او لسكان المدن الكبرى لاكثر من ١٠٠ر٠٠٠ نسمة ، او حتى على مستوى المدن الاكثر من ٢٠٠ر٠٠٠ نسمة ، وايضا من حيث الاهمية والتركيز (جدول / ١ عمود ٦) .

فمفهوم فكرة التوزيع الهرمى للمدن حقيقة جامدة ليست سهلة التطبيق و خاصة فى الدول النامية (٤١) . ولذا تعكس المدينة الاولى وتدرج الاحجام فى الاقليم بل تلخص فى بلاغة وايجاز كثيرا من الحقائق الجغرافية الدقيقة ، لان عدم التجانس فى سطح الارض من تضاريس وتربة ونبات وعمران وغيرها يسبب اضطرابا فى التراتب بين التباعد واحجام المدن بل فى تدرجها الهرمى . ومن ثم ، اصبح من الصعب تطبيق قاعدة المدينة الاولى على معظم دول الاقليم لعدم توفر البيانات الكافية والصحيحة عن الحضر . لكن اتضح من الجداول (**) ان هناك سمة غالبة

---

(٣٩) Lloyd, R· : Nations and Cities, A comparison of Strategies for Urban Growth, Boston, 1970, p. 21.

(٤٠) Jefferson, M· : «Law of the primate city,» Geog· Rev., (Vol. 29, No. 2,) 1939, pp· 226-232

— Berry, B·J·L, and Garrison, W,L, : Alternative Explanations of Urban Rank Size Relationships, A·A·A·G, Vol, 48, No, 1, 1958, pp· 83-91.

— Zipf, G·K. : «Rank-Size Rule Hierarchy of Urban Settlement, 1949.

(*) انظر ادناه عن العواصم واحجام المدن فى الاقليم :

(٤١) Lloyd, R· : Op. cit., p, 22

(**) Demography Yearbook, op. cit.

ومشتركة بين كل دول الاقليم وهى : أن العاصمة هى المدينة الاولى فى جلها ما عدا دولة بنين حيث العاصمة « بورتونوفو » (١١٤ الف) هى المدينة الثانية و « كوتونو » (١٧٨ الف نسمة) هى المدينة الاولى ، ويرجع ذلك الى أسباب عديدة . ولاشك أن ابتعاد العاصمة عن المدينة الاولى ان لم يكن شذوذا مدنيا أو سياسيا فهو على الاقل ليس القاعدة الاصولية (حسب تقديرات ١٩٨٠) .

لقد احتوت عواصم دول الاقليم او المدينة الاولى فيها (ما عدا بنين) نسبة ضئيلة من جملة سكان دولتها . لكنها على عكس ذلك ضمت نسبة كبيرة جدا من جملة سكان الحضر فيها (لاكثر من ٢٠ الف نسمة). فقد بلغت اكثر من ٩٠٪ فى غامبيا ، واكثر من ٧٠٪ فى غينيا ، واكثر من ٦٠٪ فى كل من سيراليون والسنغال وتوجو ، واكثر من ٥٠٪ فى ليبريا وساحل العاج ، لكنها تهبط الى ٣٩٪ فى غانا والى ٢٠٪ فى بنين (لانها المدينة الثانية) والى ٦ر٥٪ فى نيجيريا ، من جملة سكان الحضر لاكثر من ٢٠ الف نسمة فى كل دولة . (جدول ١ عمود ٦) .

اما نوعية احجام المدن : فالظاهرة فى الاقليم هى وجود اعداد قليلة من المدن المتوسطة الحجم التى تتراوح بين ٥٠ ــ ١٠٠ الف نسمة مع اعداد كبيرة من المدن الصغيرة الحجم بين ٢٠ ــ ٥٠ الف نسمة ، اذا قورنت بجملة اعداد المدن فى مراتب حجمها بالاقليم كله . فالاخيرة تمثل ٥٦٪ فى حين تمثل الاولى ١٦٪ وبلغت النسبة ٢٨٪ لعدد المدن فى الاقليم لاكثر من ١٠٠ الف نسمة من جملة المدن فى الاقليم لاكثر من ٢٠ الف نسمة ، ويلاحظ أن نيجيريا تضم وحدها اكثر من ٥٠٪ (تقريبا من جملة مدن الاقليم . ومن المدن الصغيرة الحجم (٢٠ ــ ٥٠ الف) (*) التى نشأت معظمها أثناء فترة الاستعمار الحديثة لتحقق مجموعة متنوعة من الوظائف التى ارتبطت بالتعدين والطرق والسكك الحديدية والادارة والحكم والمراكز الزراعية الكبرى للمحاصيل النقدية فى الاقليم .

أما المدن الكبيرة الحجم ، فالمليونية منها ظاهرة حديثة نسبيا فى اقليم غرب افريقيا فحتى ١٩٧٥ لم يكن هناك مدينة مليونية فى الاقليم ، حيث كان اكبرها « داكار » (٨٠٠ الف) لكن تمثلها فى الوقت الحاضر مدينة « لاجوس » عاصمة نيجيريا (٢ر١ مليون تقدير ١٩٨٠) ، فى حين قاربت كل من « داكار » عاصمة السنغال و « اكرا » عاصمة غانا (٨٢١ الف ، ٩٤١ الف على التوالى تقدير سنة ١٩٨٠) من المليون نسمة وربما تخطت « اكرا » المليون نسمة بعد منتصف الثمانينات ، (تقدير

(*) جدول (٤) ×

١٩٨٠) . فى حين وقعت « ابدجان » (٦٨٥ الف) عاصمة ساحل العاج و « كوناكرى » عاصمة غينيا (٥٥٠ الف) فى فئة الحجم الاكثر من نصف مليون نسمة .

لقد بلغ عدد المدن من فئة الحجم الاكثر من ١٠٠ الف نسمة فى الاقليم ٤٢ مدينة منها ٢٧ مدينة فى نيجيريا وحدها ، وتضم كل من الدول الاخرى ما بين واحدة الى ثلاثة فقط من هذا الحجم ، فى حين لم تظهر هذه الفئة فى غمبيا التى قدرت « بانجول » العاصمة واكبر مدينة فيها بـ ٤٩ الف نسمة ، وفى غينيا بيساو ، التى لم تظهر عاصمتها « بيساو » فى جداول المدن حتى ١٩٨٠ (**) . وتقدر جملة سكان هذه المدن بـ ١٢ر٣ مليون نسمة ، تشكل ٢ر١٠٪ من جملة سكان الاقليم و ٤٨٪ من جملة سكان الحضر به . أى أن ما يقرب من ٥٠٪ من جملة سكان مدن الاقليم يقطنون فى مدن من فئة حجم لأكثر من ١٠٠ الف نسمة (خريطة شكل ٧) .

(ب) ـ تصنيف وظيفى :

يجب ان نضع فى الاعتبار عند التصنيف الوظيفى للمدن فى اقليم غرب افريقيا التتابع التاريخى والتوزيع الجغرافى والاصول الاستعمارية . وعلى هذا يمكننا ان نميز بين انواع الوظائف المدنية التالية فى المدن الجديدة التى ظهرت فى اوائل القرن الماضى ، وايضا فى المدن التاريخية القديمة ، كما ظهرت فى الوقت الحاضر فى بعض المدن وظائف حديثة وخاصة المعدنية او الصناعية القديمة ، كما انشأ الاستعمار فى اقليم غرب افريقيا عددا من المدن والمراكز الزراعية على طول خطوط النقل والمواصلات . ويمكن ان نتبين نمطين اساسيين فى وظائف المدن فى الاقليم وهما : (١) المدن التجارية : وهى مدن النقل التاريخية الداخلية والموانى البحرية . (٢) الوظيفة الادارية : اى العواصم .

المدن التجارية : ازدهرت مدن النقل التاريخية الداخلية عندما اتصلت الاطراف الشمالية من غرب افريقيا بالصحراء المتاخمة لها وبشمال افريقيا من ورائها منذ ان دخلها الجمل فى القرن ٨ م (*) اتصالا وثيقا ، الا انه حين غزا الترك بلاد المغرب انقطعت العلاقات التى كانت تربط هذه الجهات الداخلية بمنطقة البحر المتوسط شمالا . ولعل مدن هوامش الصحراء (تمبكتو وجاو وغيرها) من اقدم مدن النقل فى العالم

(**) جدول (٣) ، (٤) ، جدول (١) عمود ٦ .

(*) انظر اعلاه

العربى وغرب افريقيا ، وهى مدن القوافل المشهورة التى سميت بـ«موانى الصحراء » لقيامها على الهوامش بين منطقتين متباينتين من حيث الموارد الطبيعية والامكانات الاقتصادية (٤٢) (الصحراء والحشائش) وهنـاك عديد من الامثلة الواضحة فى شمال اقليم غرب افريقيا .

اما الموانى البحرية ، فهى حديثة مع الاستعمار ، والجديد من المدن التجـارية فى الاقليم معظمـه موانى بحرية لا مدن داخليـة ، حيث كان للاستعمار اثر كبير فى توجيه التجـارة فى اقليم غرب افريقيـا الى الموانى البحرية وتدعيمه لها . ومن الامثلة البارزة ، كل عواصم دول الاقليم فهى موانى بحرية فى نفس الوقت (**) لقد اقيمت المحطات التجارية فى الجزء الاوسط والشرقى من ساحل غانه لخلوه من الغابات ، ولامكان الحصول على تل منتجات غرب افريقيا الهامة . واخذ النشاط يدب فى منطقة غرب افريقيا فى النصف الثانى من القرن الماضى ، حيث تبين أهميته كمصـدر لكثير من المواد الغذائية والخام ذات الاهميـة التجـارية . ولذلك فمن الملاحظ على طرق النقل والمواصلات فى منطقة غرب افريقيا انها ممتـدة من الساحل للداخل وهى طرق مكملة لبعضها سـواء سكك حديدية او طرق للسـيارات او طرق ملاحية نهـرية (٤٣) وكلهـا تخـدم الاغراض الاقتصادية فى المنطقة .

واجمع الجغرافيون على ان سواحل الاقليم بصورتها الحالية تعـد من اهم سماته الاساسية ، اذ تتصف بعدة خصائص من أهمها انعـدام الموانى الطبيعية اللهم فى بعض مصبات الانهار والبحيرات الساحلية عنـد « فريتون » وعلى الشاطىء شمالى « داكار » ، بالاضـافة الى مهاجمـة الامواج الصاخبة للشواطىء مما يعوق تقديم السفن على امتداد الالسنة والاذرع الرملية فى بعض المناطق كما هو الحال على طوال خليج «بيافرا» وفى مصب نهر الفولتا ودلتا النيجر .

اما الوظيفة الادارية : فتتلخص فى صورة العواصم كمراكز حضرية للحكم والادارة (*) لقـد اقتصر ظهـور المـدن الاستعمارية الجـديدة

---

(٤٢) **انظر :** خريطة « لابلاش » (La Blach) الشـهيرة عن موانى الصحراء فى العالم العربى فى : جمال حمدان (١٩٧٢) ، ص ٣٠٨ .

— Pritchard, J.M. : (1979), p. 46, **وايضـا :**

(**) انظـر ادناه .

(٤٣) Udo, R.K. (1978) : Map 12·4, p, 108 & Clarke, J,I, (1975), Map 12·2, p. 441.

(*) راجع فى هذا الشـان المقالات التالية :

وعواصم دول اقليم غرب افريقيا بصرامه على السواحل ، ولم يغامر فى الداخل الا فى الفترة الحديثة بل فى مراحل متاخرة منها . كما نشات هذه او تلك على نظام الحصن او القلعة او المدينة المسورة المحمية من الامام ومن ساحل البحر من الخلف . فالسور اذن كان يؤدى وظيفتين احداهما بوصفه تدبيرا حربيا ، والاخرى بوصفه وسيلة للسيطرة الفعلية على سكان المدينة . وبالرغم من انها عواصم طبيعية ، لكنها كانت تقوم عادة فى مواقع تتوافر فيها مزايا خاصة للتجارة أو لاغراض الدفاع الحربى . ولقد كانت هذه المزايا من العوامل التى اسهمت اساسا فى اختيارها موضعا وموقعا ، ولقد استعان الحكام بكل سلطات الدولة لدعم هذه المزايا (٤٤) . فكانت العواصم القلعة او الحصن اولا (مركز استقرارى على الساحل) ، ثم العاصمة (مدينة الراس للحكم والادارة) ثم نقطة مركزية للانطلاق منها الى الداخل (تقع على بدء خط حديدى او طريق يؤدى من الساحل للداخل) .

ويمكن ان نميز من حيث الاصول والتطور التاريخى فى القارة الافريقية بين انماط اربعة من العواصم السياسية هى : التاريخية ، والوسيطة والاستعمارية وعواصم ما بعد الاستعمار . ويمكن ان ندرج عواصم دول اقليم غرب افريقيا تحت العواصم الوسيطة التى تمثل فى الواقع حدا وسطا بين العاصمة التاريخية والعاصمة الاستعمارية . ومن امثلتها الرئيسية تمبوكتو ـ والتا ـ جاو ـ مالى ـ كانو فى اقليم السودان الغربى ، حيث يرجع تاريخ بعضها الى الف سنة . ولقد اوجد الاستعمار من العواصم الجديدة ما سحب من الوسيطة وظائفها وورث دورها . فورثت « داكار » كل عواصم السودان الغربى الداخلية فى افريقيا الغربية الفرنسية وورثت « لاجوس » « ايبادان » فى نيجيريا .

وتتميز معظم عواصم الاقليم بخاصيتين من ثلاث تميز العاصمة الاستعمارية فى افريقيا (٤٥) ، وهى : (أ) حداثة السن المطلقة : فلا يزيد عمرها عن قرن او اقل وهى لذلك ساحلية بصرامة ، واغلبها بنت القرن الماضى على الاكثر ان لم تكن وليدة قرننا هذا مباشرة . (ب) عدم

— Hamdan, G. : Capital of the New Africa, Econ. Geog., Vol, 40, No. 3, 1964, pp. 239-253.

— ———, Sizes of African Capitals, Bul. Soc. Geog. d'Egypte, T. XXXVI, 1964, pp. 87-100.

(٤٤) لوليس سمفورد : (بدون تاريخ) ، ص ١١٨ ، ص ٦٥٣ .

(٤٥) جمال حمدان : ١٩٦٦ ، ص ١٣٦ — ١٤١ .

الاستقرار : فكانت غير ثابتة غير واثقة أو مستقرة . ففى غينياالبرتغالية (بيساو حاليا) تحركت العاصمة ثلاث مرات من « جيبا » حتى ١٨٩٠ الى « بولاما » ، ثم الى « بيساو » سنة ١٩٤٢ وبالمثل ظلت « جراند باسام » عاصمة ساحل العاج حتى سنة ١٩٠٠ ، ثم انتقلت الى « بنجرفيل » ، وفى سنة ١٩٣٤ انتقلت الى « ابدجان » (٤٦) . كذلك كانت « سانت لويس » عاصمة السنغال وافريقيا الغربية الفرنسية فى البداية ثم انتقلت الى « داكار » .

وتعود كل عواصم الاقليم الى أهم حقيقة عن مواقع العواصم الافريقية وهى بلا شك عواصم هامشية متطرفة من جسم الدولة اى بالنسبة لمساحتها عامة ، وهذا امر يصدق على العواصم الساحلية ليس فى الاقليم فقط بل فى كل العواصم الساحلية بالقارة ، اذ ان العاصمة الساحلية هى القاعدة السائدة فى القارة ، ففيها ٢٧ عاصمة ساحلية . ولم يقتصر هذا التوقيع الساحلى على عواصم الاستعمار الجديدة ، بل امتد الى العواصم الوطنية والاهلية القديمة . فقد نقلت العاصمة من الداخل الى الساحل كما فعل فى النطاق السودانى الغربى من «تمبكتو» و « جاو » و « ايبادان » الى « داكار » و « اكرا » و « لاجوس » .

ويلعب المناخ دورا فى توقيع العواصم فى افريقيا . وهى قارةتمانى فى اغلبها من المناخ المدارى القاسى ، فمن المرجح ان العواصم تسعى فى الدول ذات المناخ المتطرف الى ان تجنح الىالطرفالانسب ، اىالعروض الاكثر اعتدالا من رقعتها (٤٧) . ومن المؤكد ان الموقع الساحلى للعواصم فى اغلبم الدول الافريقية يحقق هذا ، الى جانب انه يتفق مع توجيه المعمور وتوجيه الاستعمار . فالموقع الساحلى للدول المدارية يضمن على الاقلجبهة مائية منعشة ومناخا محليا معتدلا . ومن ثم ، فتطرفعواصم دول الاقليم الاحدى عشر الساحلية امر لا مفر منه . (شكل ٦) . ان قمة التطرف بين العواصم الساحلية الاستعمارية كانت تتحدد فىافريقيا الفرنسية الغربية قبل تحللها . والتى كانت تحكم من « داكار » على الساحل وتمتد الى الداخل نحو ٢٠٠٠ ميل (تقريبا) . (شكل ٥) . فتطرف العاصمة السياسية فى الدول الافريقية اذن حقيقة عامة ولها مغزاها ونتائجها الخطيرة .

---

(٤٦) Harrison Church, (1960) : p. 349.

(٤٧) جمال حمدان ، ١٩٥٩ ، ص ٢٤٧ .

اما من حيث الحجم ، فهناك ضآلة وقزمية فى حجم العاصمة الافريقية . ان كل عواصم افريقيا الخمسين مجتمعة لا تصل الى حجم لندن وحدها (٤٨) ، فالعاصمة تظهر على سائر مدن الدولة بوضوح حاسم ، وتصبح سيادتها فى الحقيقة طغيانا كاملا . ويمكن ان نحصر فى المجموعة « داكار » ، كوناكرى ، ابدجان . ومن ثم فاغلب دول الاقليم لا يملك فى الواقع الا مدينة واحدة كبيرة نسبيا هى العاصمة ، تهوى بعدها فجأة الى عدد من المدن الصغيرة جدا التى لا كفاءة لها فى الحقيقة . فـ « داكار » كعاصمة لافريقيا الغربية الفرنسية حققت حجما يعد من اكبر الاحجام فى غرب افريقيا ، لكن تفتيت الامبراطورية تركها كعاصمة منتفخة متورمة لدويلة متقطعة . وهذا وحده يفسر كيف انها تناظر « اكرا » او « لاجوس » رغم فارق حجم السكان الشاسع . وبذلك ، ليس ثمة تناسب كامل محكم ووثيق بين حجم العاصمة وحجم الدولة (اى : مجموع السكان العام او مجموع سكان المدن بها) فى الاقليم وافريقيا بصفة عامة (*) . فلا شك ان هناك علاقة بالقوة بين حجم السكان العام وحجم السكان العام وحجم العاصمة ، ويمكن ان نلمس هذا فى كثير من عواصم القارة بعامة واقليم غرب افريقيا على وجه الخصوص .

(ج) ــ الهجرة من الريف الى المدن : (Rurban Migration)

تقلل معظم الآراء والدراسات التى تدور حول اسباب النمو السريع للمدن فى اقليم غرب افريقيا كثيرا من قيمة ارتفاع معدل الزيادة الطبيعية وتجعله اقل شأنا من عنصر الهجرة (من الريف الى الحضر) ، مع ان العامل الاول اساسى والعامل الثانى ثانوى او اضافى فى عملية النمو . وان كان العامل الثانى يعد ظاهرة واضحة اكثر تاثيرا فى عامل نمو سكان المدن بالاقليم فى الفترة الاخيرة وخاصة بعد الاستقلال .

ويعادل سكان اقليم غرب افريقيا ٢٥ر٦٪ من جملة سكان القارة، وبلغ المعدل السنوى للزيادة الطبيعية للاقليم ٣ر٠٦٪ مقابل ٢ر٩٪ للقارة كلها (تقديرات سنة ١٩٨٠) وهو معدل مرتفع بالنسبة لكثير من اقطار القارة (٤٩) ، ويلاحظ ان المعدل السنوى لنمو سكان المدن اكبر من معدل نمو السكان العام فى جميع دول الاقليم ، بل يصل احيانا الى ضعفين او اكثر فى معظم دول الاقليم ، كما هو الحال فى ــ على سبيل

---

(٤٨) جمال حمدان ، ١٩٦٦ ، ص ١٣٣ .

(*) انظر املاه ، (التدرج الهرمى لاحجام المدن) .

(٤٩) Clarke, J.I. (1971) : p. 21

المثال لا الحصر – غينيا بيساو ، غينيا ، سيراليون ، غانا – توجو – بنين ، لكنه يتساوى معه أو يزيد عنه قليلا فى بعض دول الاقليم مثل السنغال ، ليبريا ، ساحل العاج . (جدول ١ عمود ٧ و ٨) . ويرجع « كلارك » (Clarke, J·I) هذه الظاهرة الى الهجرة الى المدن فى افريقيا بعامة ودول غرب افريقا على وجه الخصوص ، وايضا الى هجرة العمالة ودوافعها وانواعها وانماطها ومحاورها فى غرب افريقيا (٥٠) .

لقد نما سكان مدن الاقليم فيما بين ١٩٦٥ ، ١٩٨٠ بمعدل حوالى ٥ر٥ ٪ سنويا ، ويختلف هذا المعدل كثيرا من دولة لأخرى (جدول ١ عمود ٨) . ولا تتأثر معدلات نمو سكان المدن بالزيادة الطبيعية فقط ولكن ايضا بالهجرة من الريف الى الحضر وبالهجرة الخارجية (External Mig·) التى تسبب اعادة توزيع السكان فى المناطق المحيطة بالمدن والتى يمكن أن تكون كبيرة – على وجه الخصوص – فى بعض الدول .

وتعود اسباب الهجرة من الريف الى المدن الى مجموعة متشابكةمن العوامل الاقتصادية والاجتماعية ، وهى معقدة الى درجة كبيرة ، وهى تختلف من قطر الى آخر فى داخل الاقليم ، ومن اقليم لآخر على صعيد القارة . وعلى وجه العموم ، فان عوامل الطرد (Push Factors) المألوفة هى فى الغالب المسئولة عن الهجرة من الريف فى مقابل عوامل الجذب Pull Factors وعلى راسها العمالة فى المدن هى الدافع وراء وجهة الهجرة . كما كشفت عمليات الهجرة على المستوى العام لغرب افريقيا تشابهات معينة فى الاقطار الاحدى عشر للاقليم ، مما يتيح اجراءمقارنات هامة مع الاقطار النامية الاخرى . ويمكن الاشارة الى ثلاثة مظاهر واضحة تحدث فى عملية الهجرة من الريف الى المدن فى غرب افريقيا وهى :

(ا) – ان وجهةالهجرة فى المقام الاول هىالعاصمة او المدنالكبرى، وهى ليست فقط على حساب الريف ولكن ايضا على حساب المدن المتوسطة والصغرى .

(ب) – ان معظم حركات الهجرة هى للاستقرار الدائم ، ويشاهد هذا التجمع فى الاحياءالفقيرة او عشش الصفيح (Slum or Bidonvilles) التى اصبحت مع سرعة نمو المدن بصورتها وشكلها ومساحتها المتزايدة ،

Seoudy. M.A : (1970-71), pp. 101-118·

تشكل تشويها كبيرا على المدن ، واصبح هـذا النمـط السكنى واضحا ومتكررا فى كل العواصم ومعظم المدن الكبرى وحولها فى غرب افريقيا . ويبلغ اكبر اتساع لهذه المدن الصفيح فى المـدن الساحليـة الكبيرة التى يشكل فيها سكان هذه الاحياء نسبة كبيرة تبلغ احيانا اكثر من ٤٠٪ من مجموع سكان المدينة . ومع ذلك لم تسلم منها المدن الداخلية هى الاخرى لكن بنصيب اقل حيث يمكن اعتبارها صورة مكانية لظـاهرة اجتماعيـة جديدة . ويصور البعض (جاك بيرك) حالة سكان مدن الصفيح فيقول « بأنهم حضريون دون ان تكون لهم مدينة ينتمون اليها » (٥١) .

(ج) ــ تحدث معظم الهجرة دون تاكيدات مسبقة لوظيفة او لمسكن فى المدينة مقصد الهجرة . والواقع ان اخطر مشـكلة اقترنت بالهجرة هى مشكلة التعطل التى يعانى منها اغلبية النازحين حيث ان مجال العمل لم يمتص سوى قلة قليلة منهم على حين تتضخم مشكلة المتعطلين ، ويتضح هذا من دراسة انماط العمالة المهاجرة فى غرب افريقيا (٥٢) حيث شكلت الهجرة الداخلية ازمة حقيقية يجب على الدول مواجهتها والنظر اليهـا بعين الاعتبار ، اذ تضم مواقع عشش الصفيح فى مداخل المدن ومخارجها نسبة كبيرة من العـاطلين ، وتظهـر بها بوضـوح العـديد من المشكلات الاجتماعية .

لقد اوضحت نتائج بعض الدراسات عن الهجرة فى غرب افريقيا (٥٣)، ان بلغ معدل الهجرة من الريف الى المدن (*) اكبرها فى سيراليون واقلها فى غمبيا . لكن التقديرات التقريبية لصافى الهجـرة الى منـاطق الحضر بلغت ٥٠٪ (تقريبا) من جملة نمو الحضر فى الاقليم ، والباقى يرجع الى الزيادة الطبيعية للسكان ، اى ان نصف نمو المدن بسبب عامل الهجرة . وبلغ المعدل السنوى للهجرة فى الاقليم من الريف الى المدن ٣٫٢٪ ، لكن هذه النسبة تتراوح بين ٥٫٦٪ فى ساحل العاج الى ١٫٢٪ فى غانا (٥٤). وتبين من الدراسة ان غمبيا وسيراليون تضـم اكبر نسبة نمـو لسكان

---

(٥١) J. Bercque : Medina, Villes Modernis et Bidonvilles, cahiers de Tunisie 21-22, 1959, p. 40.

(٥٢) Seoudy, M.A. : (1970-71), p. 119

(٥٣) Zachariah, K.C and Julien Condé : (1981), pp. 79-97.

(*) لا توجد بيانات حقيقية ولكن كلها تقديرات للامم المتحدة والباحثين عن طريق دراسة بعض النمـاذج فى دول الاقـليم .

(٥٤) zachariah : op. cit, p. 81

المدن بين دول الاقليم (١٩٦٥ ــ ١٩٧٥) ، كما ان « غانا » تمثل اقلها وذلك نتيجة لعامل الهجرة من الريف الى المدن . اما فى الفترة من ١٩٧٥ ــ ١٩٨٠ ، فقد بلغ معدل النمو السنوى لسكان الحضر فى دول الاقليم اقصاه فى غينيا وتوجو (٦٪ لكل) وادناه فى السنغال (٩ر٢٪) وتتراوح النسب فيما بينهما فى دول باقى الاقليم (جدول ١ عمود ٨) .

ولنضرب من دول الاقليم امثلة ونماذج للهجرة من الريف الى المدن(٥٥) ــ على سبيل المثال لا الحصر ــ ففى **غانا** تزايد سكان الحضر بها خمسة اضعاف على مدى فترة ٢٢ عاما (١٩٤٨ ــ ١٩٧٠) . ويرجع جزء كبير من هذا النمو الى عامل الهجرة بنوعيها ، لأن الزيادة تفوق كثيرا الزيادة الطبيعية . اما فى **ساحل العاج** فمعظم المهاجرين اليها من الخارج الى المناطق الريفية يمكن اعتبارهم مهاجرين من الريف الى المدن ، اذ ترجع اصولهم الى المناطق الريفية فى فولتا العليا ومالى ، وبدون هؤلاء اصبح معدل الهجرة من الريف الى الحضر (٦٥ ــ ١٩٧٦) ٤ر٢٪ سنويا . وهناك مركزان حضريان كبيران وهما : « ابدجان » و « بواكيه » ينموان بمعدل ١٠٪ سنويا منذ ١٩٦٥م ويستقبلان المهاجرين من الداخل والخارج . فمن الخارج الى الاولى اساسا من فولتا العليا (بركينا فاسو) والى الثانية من « مالى » ، اما معظم مهاجريها من الداخل فمن رقعة اقليمها المساحى . اما فى **السنغال** فيقدر معدل صافى الهجرة السنوى من الريف الى المدن بـ ٣ر٣٪ وكانت فى الستينات كلها موجهة الى « داكار » ، اذ قدر ان صافى الهجرة الى « داكار » وحدها بـ ٦٠٪ من اجمالى صافى الهجرة من الريف الى المدن فى السنغال . وفى **توجو** نمت المدن الكبرى « لومى » و « سوكودى » بمعدل ٢ر٦٪ سنويا اثناء الفترة «٦٠ ــ ١٩٧٠» . وقدر ان الهجرة الى العاصمة من اقاليم الدولة اقل من الهجرة اليها من الدول الاخرى المجاورة (١٠٪ ، ١٦٪ من سكان العاصمة على التوالى) فى اقليم غرب افريقيا ، وينسحب هذا على كل من غانا ، بنين . ومنذ سنة ١٩٧٠ حدث العكس واصبحت الهجرة اليها من الداخل اكثر من الخارج . ولكن ظلت الهجرة الخارجية هى السمة المميزة لسكان « لومى » ، بينما زادت نسبة الهجرة الداخلية اليها ، التى امتد مصدر مهاجريها جغرافيا من داخل البلاد اثناء الفترة ٦١ ــ ١٩٧٠ . اما **سيراليون** ، فلقد بلغ معدل نمو عاصمتها السنوى للفترة من ١٩٦٣ ــ ١٩٧٤ بـ ٩ر٤٪ فاذا كان معدل الزيادة الطبيعية السنوى ٢٪ وان صافى الهجرة حوالى ٩ر ــ٪ سنويا ، فان الباقى هو

---

(٥٥) Ibid : pp. 80-93.

المعدل السنوي للهجرة الداخلية اى ٢٪ سنويا . ويلاحظ أن الهجرةمن الريف الى المدن تتركز فى المدن الكبرى ، من امثلتها « كانو » ومدن التعريف المحيطة بها ، اذ بلغ معدل نمو الهجرة من الريف الى المدن اليها ١و٤٪ سنويا .

معهد البحوث والدراسات العربية
INSTITUTE OF ARAB RESEARCH AND STUDIES
عضو اتحاد الجامعات العربية

خاتمـــــــــــة

لعل خير خاتمة للموضوع ، بعد الدراسة التفصيلية والتحليلية السابقة ان نلقى نظرة عامة على الحضر فى اقليم غرب افريقيا ، فعلى الرغم من اختلاف مستوى التحضر جوهريا بين دول الاقليم ، الا اننا نخلص الى بعض السمات العامة للحضر فيه ، مع ضرب الامثلة ــ على سبيل المثال لا الحصر ــ من دول الاقليم ومدنه :

ــ تاثرت كل دول الاقليم بنمو الحضر السريع ، رغم ان درجة التحضر تختلف من دولة لاخرى ؛ ففى « غانا » نجد ان الزيادة الطبيعية للمدن اكبر كثيرا من الهجرة الداخلية من الريف الى الحضر ، لأن التحضر بدا فيها مبكرا اكثر من الدول الاخرى فهو اكثر حداثة . اما فى « ساحل العاج » و « غمبيا » فالهجرة الخارجية اكثر اهمية من الهجرة الداخلية الى المدن وهى التى تسبب اساسا نمو المدن .

ــ هناك نمط واحد سائد على مستوى الاقليم للهجرة من الريف الى المدن تبدو ملاحظته بوجه عام فى كل دول الاقليم ، الا وهو تركز هذا النوع من الهجرة فى المدينة الاولى او الرئيسية فى الدولة ، وفى المناطق المجاورة والمحيطة لها ، ويشاهد هذا بوضوح فى كل من اقليم « اكرا » ، « ابدجان » ، « فريتون » ، « داكار » ، « لومى » ، وهى عواصم الدول: غانا ، ساحل العاج ، سيراليون ، السنغال ، توجو على التوالى ، اذ بلغ صافى الهجرة من الريف الى المدن الى بعضها اكثر من ٨٠٪ من جملة نوع الهجرة هذه فى الدولة . وليست المدينة الكبرى والاولى التى تستقبل نسبة كبيرة من المهاجرين من الريف الى المدن ولكن مكاسب اعداد المهاجرين هذه على حساب المدن الصغرى الى حد ما .

ــ لا يختلف المهاجرون من الريف الى المدن كثيرا عن المهاجرين داخليا بين الاقاليم بعضها وبعض فيما يتعلق بخصائصهم الديموغرافية. ومع ذلك يميل المهاجرون من الريف الى المدن الى الاعمار الشابة البالغة ، ويتميزون بخصائصهم الاجتماعية والاقتصادية ، فهم احسن فى مستوى التعليم ويشغلون وظائف اعلى ومرموقة عن المهاجرين داخليا بين الاقاليم. لكن ، يبدو ان الحالة الاجتماعية والاقتصادية (Socio-Economic Status) للمهاجرين من الريف الى المدن اخذت تتناقص كثيرا فى السنوات الاخيرة بالمقارنة مع قاطنى المدن انفسهم .

جدول رقم (١) دول اقليم غرب افريقيا ـ (البيانات الاساسية) ـ (السكان والحضر)

م	الدولة	(١) المساحة كم٢	(٢) عدد السكان سنة ١٩٨٠	(٣) الكثافة نسمة/كم٢	(٤) درجة التحضر (+ ٢٠٠٠٠)	(٥) الجيران	(٦) العاصمة سنة ١٩٨٠: الاسم	عدد السكان	٪ من جملة السكان	٪ من سكان الحضر (+ ٢٠٠٠٠)	(٧) سنة ٪ ٦٥ــ١٩٨٠	(٨) سنة ٪ ٧٥ــ١٩٨٠	(٩) سنة ١٩٨٠ (+ ٢٠٠٠٠)	تاريخ الاستقلال
		(الف كم٢)	(الف نسمة)		سنة ١٩٨٠			(الف نسمة)					(الف نسمة)	
١	السنغال	١٩٦	٥٦٦١	٢٨ر٩	٣٠ر٢	٥	دكار	٨٢١	١٤ر٥	٥٧ر٤	٢ر٥٨	٢ر٩	١٤٣٠	١٩٦٠
٢	غامبيا	١١	٦٠٢	٥٤ر٨	١٠ر٩	١	بانجول	٤٩	٨ر١	٩٨ر٠	٢ر٨١	٤ر٦	٥٠	١٩٦٥
٣	غينيا بيساو	٣٦	٥٧٣	١٥ر٩	٥ر١	٢	بيساو (*)	—	—	—	١ر٧٥	٣ر١	٣٥	١٩٧٤
٤	غينيا	٢٤٦	٥٠١٤	٢٠ر٤	١٤ر٦	٦	كوناكري	٥٥٠	١١ر٠	٧٣ر٢	٢ر٥٤	٦ر٠	٧٥٠	١٩٥٨
٥	سيراليون	٧٢	٣٤٧٤	٤٨ر٣	١٨ر٠	٢	فريتاون	٢٨٨	١١ر٢	٦٨ر٠	٢ر٦٤	٥ر٢	٥٧٠	١٩٦١
٦	ليبريا	١١١	١٨٦٣	١٦ر٨	٢٢ر٦	٣	مونروفيا	١٦٦	٨ر٩	٥٥ر٣	٣ر٣٧	٣ر٧	٣٠٠	١٨٤٧
٧	ساحل العاج	٣٢٢	٧٩٧٣	٢٤ر٧	٢٥ر٥	٥	ابدجان	٦٨٥	٨ر٦	٤٩ر٦	٣ر٤٥	٤ر٦	١٢٨٠	١٩٦٠
٨	غانا	٢٣٩	١١٦٧٦	٤٨ر٩	٢٢ر٦	٣	اكرا	٩٤١	٨ر٦	٣٩ر٠	٣ر١٢	٥ر٦	٢٧٢٠	١٩٥٧
٩	توجو	٥٦	٢٦٩٩	٤٨ر٢	١٨ر٢	٣	لومي	٢٧٣	١٠ر١	٦٣ر٥	٢ر٩٨	٦ر١	٤٣٠	١٩٦٠
١٠	بنين	١١٢	٣٥٣٠	٣١ر٢	١٧ر٠	٤	بورتونوفو	١١٤	٣ر٢	٢٠ر٠	٢ر٩٧	٥ر٨	٥٧٠	١٩٦٠
١١	نيجيريا	٩٢٤	٧٧٠٨٢	٨٣ر٤	٢٠ر٣	٤	لاجوس	١١٦٨	١ر٥	٦ر٥	٣ر٢١	٥ر٨	١٨٠١٠	١٩٦٠
	مجموع الاقليم	٢٣٢٧	١٢٠١٥١	٥١ر٦	١٨ر٦						٣ر٠٦	٥ر٥	٢٦٢٤٥	
	افريقيا	٣٠٢٢٠	٤٧٠٠٠٠	١٥ر٥	١٥ر٨						٢ر٩١			

(*) غير موجود فى المصادر الاحصائية حتى سنة ١٩٨٠.

(٧) معدل الزيادة السنوى لجملة السكان .

(٨) معدل النمو السنوى لسكان الحضر (+ ٠٫٠٠٠٢)

(٩) جملة سكان المدن .

المصدر : الجدول من المصادر التالية :

1) U.N., Selected World Demographic and Population Policy Indictators, 1980, N.Y. 1981.

2) ...., Demographic Year-Book, 1980, N.Y. 1982 & 1984, N,Y, 1985.

3) ——, Demographic Handbook for Africa, N.Y., 1980.

4) ——, World Population Prospects as assesed in 1980, N.Y. 1981.

5) ——, Patterns of Urban and Rural Population Growth, N.Y., 1980.

6) Clarke, J.I. : (1975), Fig. 6,6, p, 201,

7) Economic Commission for Africa, Size and Growth of Urban Population in Africa. (E.C.A.,)
(E/CN. 14/CAS. 6/3)

8) Segal, B., in : Ominde & Ejiogu, (1972), Table 34.3, p. 279

جـــــــدول (٢)

(درجـة التحضر فى دول اقليم غرب افريقيـــا)

(تقـــــديرات ١٩٦٥ ـ ١٩٨٠)

م	الدولة	النسبة المئوية لسكان المدن ـ (*)			
		١٩٦٥	١٩٧٠	١٩٧٥	١٩٨٠
١	الســـنغال	٢٤ر١	٢٧ر٢	٢٩ر٢	٣٠ر٢
٢	غامبيـــا	٩ر١	٩ر٦	٩ر٨	١٠ر٩
٣	غينيا بيساو	٤ر٨	٥ر٥	٤ر٩	٥ر١
٤	غينيـــا	٨ر٥	١٠ر٦	١٢ر٦	١٤ر٦
٥	ســيراليون	ـ ر٩	١٣ر١	١٥ر٤	ـ ر١٨
٦	ليبيريا	١٣ر٨	١٨ر٣	٢٠ر٣	٢٢ر٦
٧	ساحل العاج	ـ ر١٤	١٨ر٨	٢٣ر١	٢٥ر٥
٨	غانـــا	١٥ر١	١٧ر٥	ـ ر٢٠	٢٣ر٦
٩	توجـــو	٧ر٨	١٠ر٣	١٥ر٤	١٨ر٢
١٠	بنـــين	٩ر٧	١١ر٩	١٤ر٦	ـ ر١٧
١١	نيجيريا	١٤ر٨	١٥ر٣	١٧ر٨	٢٠ر٣
	متوسط الاقليم	١١ر٩	١٤ر٤	١٦ر٦	١٨ر٦

(*) ـ « الحضر » هنا يعنى المدن من ٢٠ر٠٠٠ نسمة فاكثر .

المصـــــدر :

— Clarke, J·I. : (1975), Table 8.2, p, 271
After : Economic Commission for Africa, African Population Newsletter, Vol. 1, No. 1, May 1970·

جـــــدول (٢)

« عدد المدن وأحجامها لاكثر من ١٠٠ر٠٠٠ نسمة »
(فى دول اقليم غرب افريقيـــا)
طبقـــا للتقـــديرات الاخـــيرة

م	الدولة	سنة التعداد	سنة التقدير	المدن لاكثر من ١٠٠ر٠٠٠ نسمة		
				عدد المدن	جملة السكان	٪ من جملة سكان الحضر (+٢٠٠٠٠)(*)
					(الف نسمة)	
١	السنغال	١٩٧٦	١٩٧٦	٣	١٠٢٣	٧١ر٥
٢	غمبيـــا	١٩٧٣	١٩٨٠	—	—	—
٣	غينيا بيـــاو	١٩٧٠	١٩٧٩	—	—	—
٤	غينيـــا	١٩٥٥	١٩٧٢	١	٥٢٥	٧٠ر
٥	سيراليون	١٩٧٤	١٩٧٤	١	٢١٤	٣٧ر٥
٦	ليبريا	١٩٧٤	١٩٧٤	١	١٧١	٥٧ر
٧	ساحل العاج	١٩٧٥	١٩٧٦	٣	١٢٠٥	٨٧ر٣
٨	غانـــا	١٩٧٠	١٩٧٥	٢	١١٥٣	٤٢ر٤
٩	توجو	١٩٧٠	١٩٧٥	١	٢٠٢	٤٧ر
١٠	بنـــين	١٩٧٥	١٩٨١	٢	٥٢٧	٩٢ر٤
١١	نيجيريا	١٩٦٣	١٩٧٥	٢٧	٧١١٧	٣٩ر٥
	مجمـــــوع الاقلـــيم			٤٢	١٢٢٤٦	٤٨ر١

(*) ــ انظر عمود (٩) ــ جدول (١) السابق ؛ عن : جملة سكان المدن لاكثر من ٢٠٠ر٠٠٠ نسمة

المصدر : الجدول من تجميع واعداد الباحث عن المصادر التالية :

1) U.N., Demographic yearbook, 1980 & 1984, Table 8.
2) U.N., (E.C.A,), Demographic Handbook for Africa, 1978, Table 11, and 1980, Table 9.
3) Zachariah, K.C. : (1981), Table 71-72, pp. 80-81

جـــــدول (٤)

(فى دول اقليم غرب افريقيـــا)

« عدد المدن وأحجامها لاكثر من ٢٠٠٠ر٠٠ نسمة »

طبقـــا للتقـــديرات الاخـــيرة

م	الدولة	سنة التعداد	سنة التقدير	احجـــام المـــدن				
				مليون فاكثر	من : ٥٠٠ر٠٠٠ الى : ٩٩٩ر٩٩٩	من : ١٠٠ر٠٠٠ الى : ٤٩٩ر٩٩٩	من : ٥٠ر٠٠٠ إلى: ٩٩ر٩٩٩	من : ٢٠ر٠٠٠ الى : ٤٩ر٩٩٩
١	السنغال	١٩٧٦	١٩٧٦	—	١	٢	١	٣
٢	غمبيـــا	١٩٧٣	١٩٨٠	—	—	—	—	٢
٣	غينيا بيساو	١٩٧٠	١٩٧٩	—	—	—	—	—
٤	غينيـــا	١٩٥٥	١٩٧٢	—	١	—	—	—
٥	سيراليون	١٩٧٤	١٩٧٤	—	—	١	—	١
٦	ليبريا	١٩٧٤	١٩٧٤	—	—	١	—	١
٧	ساحل العاج	١٩٧٥	١٩٧٦	—	١	٢	٢	١٣
٨	غانـــا	١٩٧٠	١٩٧٥	—	١	٢	٣	١٦
٩	توجو	١٩٧٠	١٩٧٥	—	—	١	١	١
١٠	بنـــين	١٩٧٥	١٩٨١	—	—	٢	—	٢
١١	نيجيريا	١٩٦٣	١٩٧٥	١	١	٢٥	١٧	٤٥
	جمـلة الاقليم			١	٥	٣٦	٢٤	٨٤
					٪٢٨		٪١٦	٥٦٪
							١٥٠	١٠٠٪

المصدر : الجدول من تجميع واعداد الباحث من مصادر جدول (٣) الســـابق .

شكل (١) : تحديد اقليم غرب افريقيا

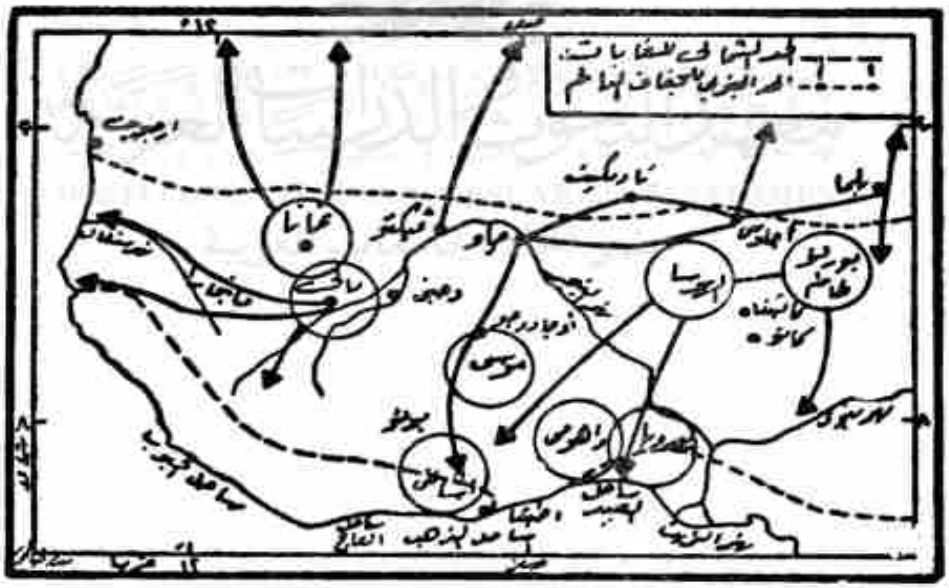

شكل (٢) : الممالك القديمة وخطوط القوافل في غرب افريقيا حتى القرن الثامن عشر .

(After Fage. J.D , (1958)

شكل (٣) : بعض المواقع والممالك القديمة فى غرب أفريقيا

(After : Fage.J.D.,(1958) and Pritchard. J.M., (1979),P. 46)

شكل (٤) : بعض عوامل البيئة فى غرب افريقيا (النطاقات العرضية)

(After : Hudder, B.W., in Prothero, R.M.,(1973),P.416)

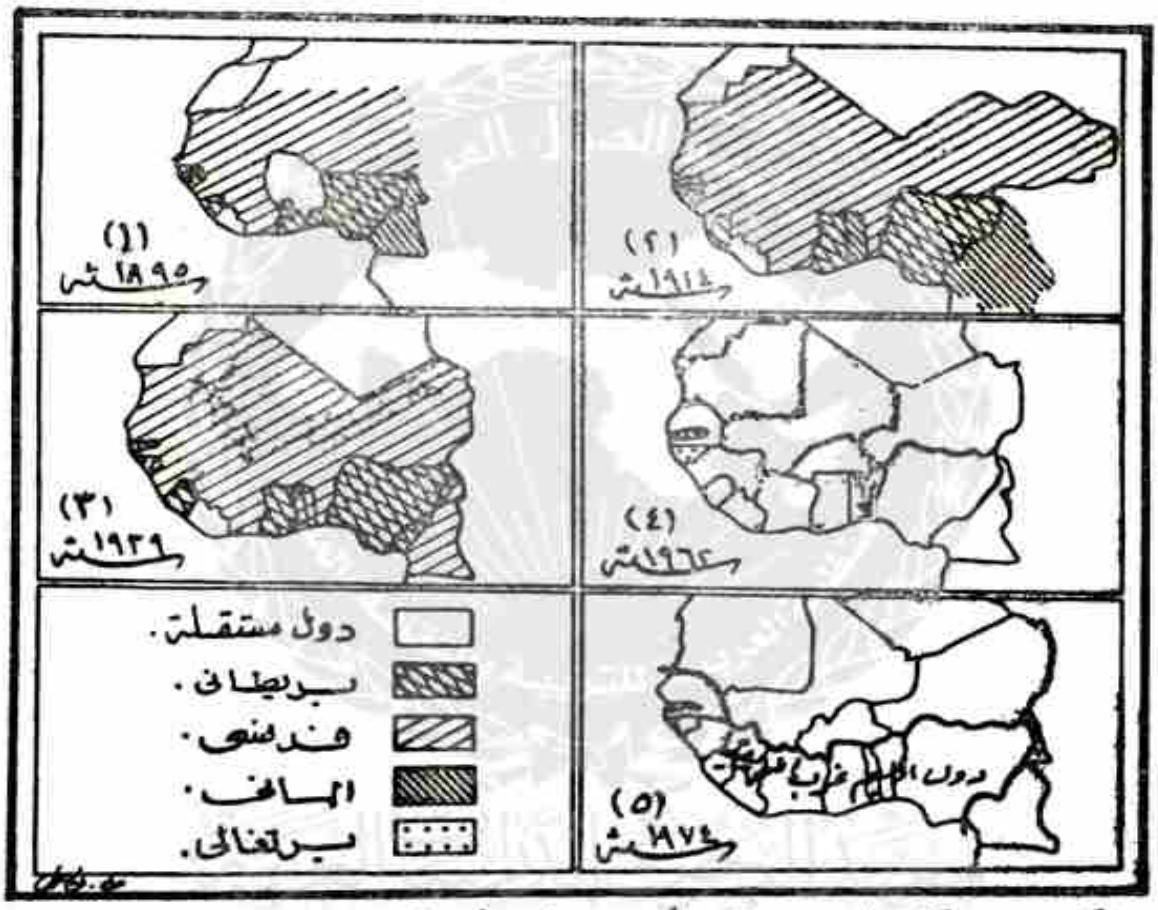

شكل (٥) : تغير الحدود السياسية لأقاليم غرب افريقيا.

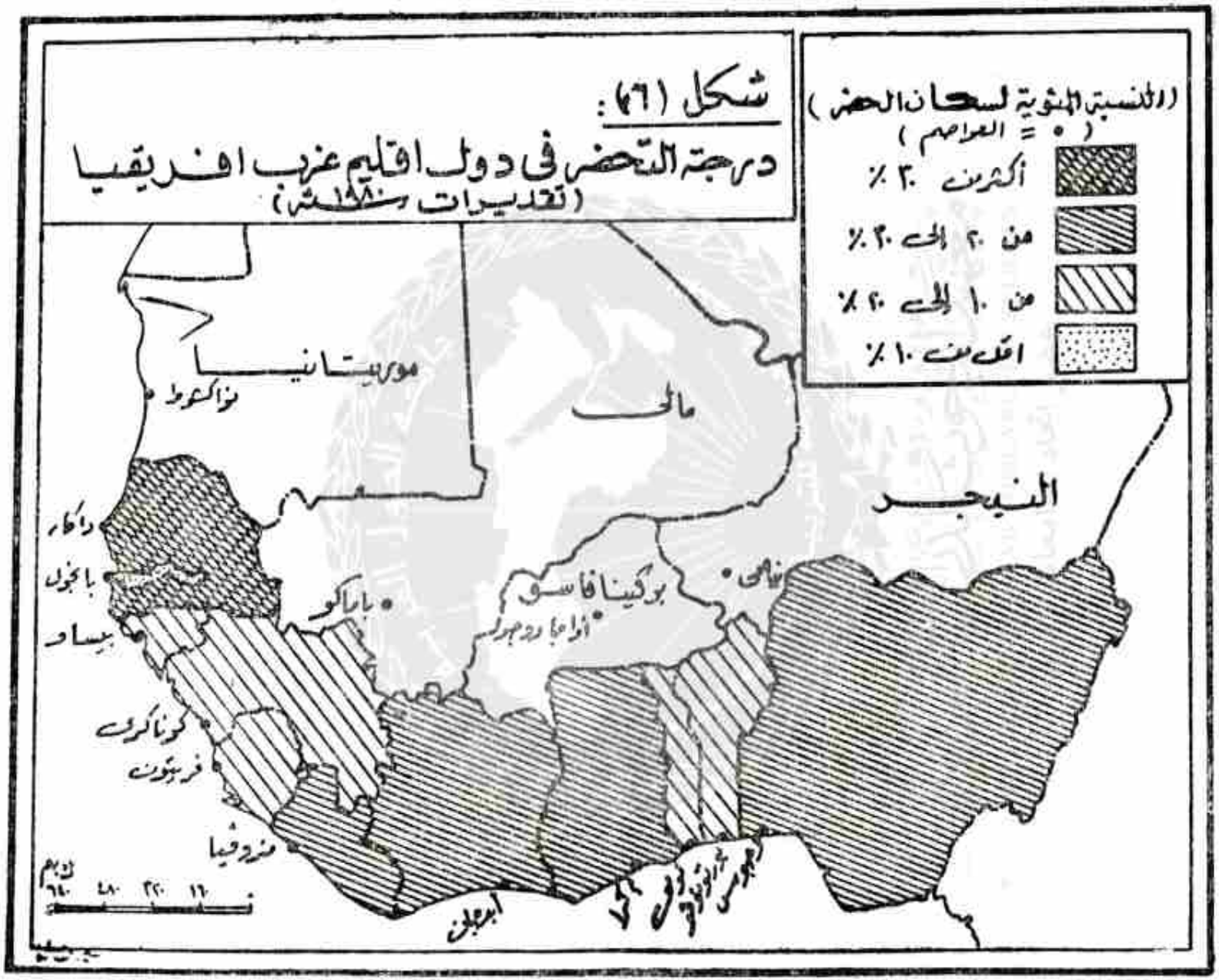
شكل (٦):
درجة التحضر فى دول اقليم غرب افريقيا
(تقديرات سنة ١٩٨٠م)
(النسبة المئوية لسكان الحضر)
(• = العواصم)
أكثر من ٣٠ ٪
من ٢٠ إلى ٣٠ ٪
من ١٠ إلى ٢٠ ٪
أقل من ١٠ ٪
موريتانيا
نواكشوط
مالى
النيجر
داكار
باماكو
بوركينا فاسو
واجادوجو
نيامى
كوناكرى
فريتون
أبيدجان

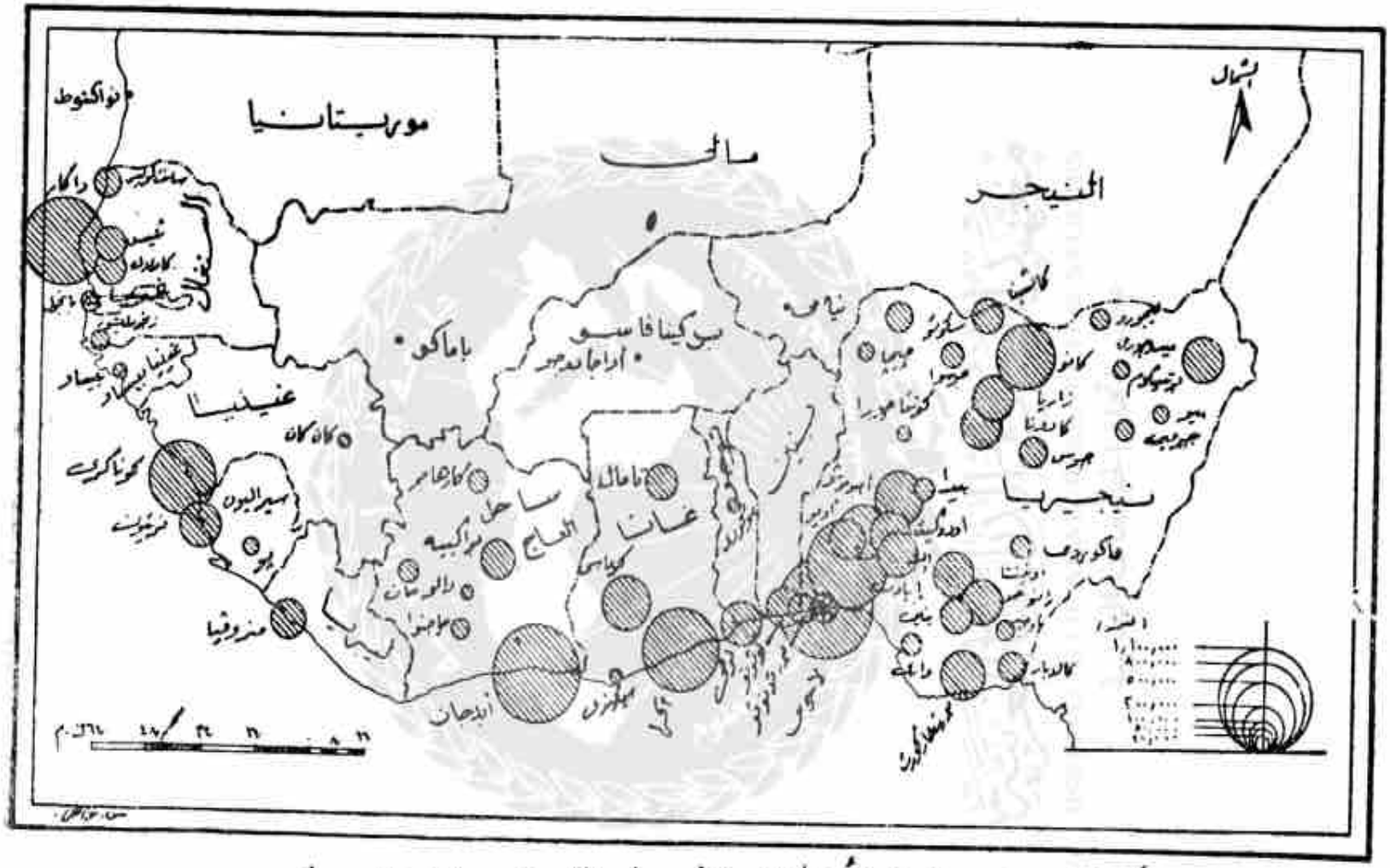

شكل (٧) : توزيع أحجام المدن فى دول اقليم غرب افريقيا،
(تقديرات سنة ١٩٨٠م)

المـــــــراجع

أولا : المراجع العربية :

(١) جمـــال حمـــدان : جغرافيـــة المـدن ، القـاهرة ، ١٩٥٩ . (الطبعة الاولى) .

(٢) ـــــــــــــــ : جغرافيـــة المـدن ، القـاهرة ، ١٩٧٢ . (الطبعة الثانية) .

(٣) ـــــــــــــــ : افريقيا الجديدة ، دراســة فى الجغرافيـا السياسية ، القاهرة ، ١٩٦٦ .

(**الباب الثانى** : الفصل ٣ ، ٤) : « الدولة والعمـران فى افريقيـا الجديدة ـ السكان والعواصم السياسية » ، ص.ص٩٩ ـ ١٧٧ .

(٤) ســولومون بروك : (ترجمـة) العمليـات الاثنوديمغرافيـة ، سكان العـالم على ابواب القـرن الحـادى والعشرين ، (اكاديميـة العلوم السوفيتية ـ دراسات اثنوغرافية سوفيتية ـ ١) . موســكو ١٩٨٦ .

(٥) لويس ممفـــورد : (ترجمة واشراف ومراجعة ابراهيم نصحى) : المدينة على مر العصور ، أصلهـا وتطورها ومستقبلها . القاهرة ، جزآن . (طبعـة خاصة بوزارة التربية والتعليم) .

(Lewis Mumford, The city in History, its transformation and its prospects, London and N·Y., 1963).

(٦) محمد ســامى عــل : الاقليم وفكرة الاقليمية ، دراسة فى نظرية الجغرافيا ، القاهرة ، ١٩٧٠ .

(٧) محمد محمد سطيحه : الجغرافيا الاقليمية ، بيروت ، ١٩٧٤ .

(**الفصل الثانى** : الجغرافيا الاقليمية والاقاليم ، ص.ص١١ ـ ٥٤ الاقليم الخاص والاقليم الوظيفى ، ص.ص٣٥ـ٥٤) .

ثانيا : المراجع غير العربية :

1. Clarke, J.I· : Population Geography and the Developing Countries, London, 1971·
   (Ch· III : Africa, pp. 90-138)·
2. ———— (Ed.), An Advanced Geography of Africa, London, 1975.
   Ch. (5) : Historical Background, **by** : Davies, H·R.J, pp, 152-182.
   Ch· (7 & 8) : Population and Urban Geography, **by** : Clarke, pp. 217-303.
3. Chorley, R.J., and Peter Haggett, (Eds) : Integrated Models in Geography, London, 1970.
   Ch. (12) : Regions, Models and Classes, **by** : David Grigg, pp· 461-510.
4. Fage, J.D· : An Atlas of African History, London, 1978
5. Grove, A.T. : Africa South of the Sahara, London, 1978
   Ch. (8) : West Africa, pp. 144-205·
6. Hilda Kuper, (Ed.) : Urbanization and Migration in West Africa, U.S.A, (California), 1965·
7. Harrison, Church, R.J. : West Africa, London, 1960
8. Hance, W.A· : Population, Migration and Urbanization in Africa, N·Y., 1970.
9. ———— : The Geography of Modern Africa, N.Y·, 1975
   (Part III) : West Africa, pp· 173-278.
10. Harm J. De Blij, and Alan C·G, Best, African Survey, N·Y., 1977.
    (Part II) : West Africa, pp. 143-240.
11. ———— : Geographical Regions and Concepts, London, 1971.
    Ch. (1) : Regions of the World, pp· 1-18.
12. Hall, R·B. : «Regions in Geography», **A.A.A.G**, Vol, XXV, 3, 1935, pp. 122-136·
13. Jarrett, H·R. : Africa, London, 1971
    Ch. (10) : Wist Africa, pp· 261-310.
14. Kenneth Little : West African Urbanization, Cambridge, 1971·
15. McDonald, J.R· : «The Region, its conception, Design and Limitation», A·A.A.G, Vol, 56, 3, 1960, pp, 516-528,
16. Morgan, W.B·, and Pugh, J.C, : West Africa, London, 1969

17· O'Connor, A.M : The Geography of Tropical African Development, London, 1978
Ch. (8) : Urbanization, pp. 171-188·

18· Ominde, S.H. and Ejiogu, C,N, (Eds) : Population Growth and Economic Development in Africa, London, 1972.
Ch. (34) : Urbanization in Tropical Africa, by : B· Segal, pp. 277-281·

19. Pritchard, J·M. : Africa, London, 1979
Ch. (2) : Historical Geography of Africa, pp· 44-56.
Ch. (7) : Settlement Villages, Towns and Cities in Africa, pp· 123-155.

20. Prothero, R.M· (Eds) : A Geography of Africa, London, 1973·
Ch. (9) : West Africa, by : Hodder, B.W·, pp 415-469

21· Pollock, N.C. : Studies in Emerging Africa, London, 1971
Ch. (1) : Population and Urbanization, pp. 1-43
Ch· (12) : West Africa, pp. 304-307.

22. Ruth, P. Simms : Urbanization in West Africa, U·S,A 1965

23· Seoudy, M.A. : «Some Aspects of Labour Migration in West Africa», **Bull. Soc. Geog· D'Egypte,** 1970-71, pp, 99-126,

24· Udo, R.K. : A Comprehensive Geography of West Africa, Ibadan, 1978.
Section, B : Peoples and Societies, pp. 31-54·

25. UNESCO : Social implications of Industrialization and Urbanization in Africa South of the Sahara, Paris, 1956·
Part II : West Africa, pp. 72-121 & pp. 495-556·

26· U.N., : «Growth of the World's Urban and Rural Population» (1920-2000) **Pop· Studies,** No. 44, N·Y, 1969,

— ———, Selected World Demographic and Population Policy Indicators, 1980, New York, 1981·

— ———, (ECA), Demographic Handbook for African, N.Y. 1978 & 1980· ..

— ———, World Population Prospects as Assesed in 1980 N·Y., 1981, pp. 16-17 ..

— ———, Patterns of Urban and Rural Population Growth, N.Y., 1980, pp· 125-128

— ———, Demographic yearbook, 1980 & 1985, (Tables 5, 6, and 8).

— ———, Selected World Demographic Indicators by Countries, (1950-2000), N.Y., 1975.

27. Zachariah, K.C. and Julien Condé : Migration in West Africa, Demographic Aspects, Oxford, 1981.
Ch. (5) : Rural-Urban Migration pp. 79-97.

معهد البحوث والدراسات العربية
INSTITUTE OF ARAB RESEARCH AND STUDIES
عضو اتحاد الجامعات العربية